مُوجَزُ الكَلَامِ

شرح

مَنظُومَةِ عَقِيدَةِ العَوَامِ

تأليف

مُحَمَّد بن عليّ بن مُحَمَّد باعَطِيَّة الدَّوْعَنِيّ

مُوجَزُ الكَلامِ

على

شرح

مَنظُومَةِ عَقِيدَةِ العَوامِ

تأليف

محمد بن علي بن محمد باعطية الدوعني

الطبعة الاولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

التوزيع في الإمارات العربية المتحدة : دار الفقيه للنشر والتوزيع - أبو ظبي
تلفون : ٠٠٩٧١٢ ٤٤٦٠٠٤٥

التوزيع في الجمهورية اليمنية : مكتبة تريم الحديثة - حضرموت
تلفون : ٠٠٩٦٧٥ ٤١٧١٣٠

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دل الخلق علىٰ معرفته بما أوجبه عليهم من النظر في مخلوقاته، وبما أخبر به فيما أوحاه إلىٰ رسله من صفاته ونعوت كمالاته، وحجبهم عن معرفة كنهه وعن التفكر في ذاته سبحانه ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ والصلاة والسلام علىٰ سيد العارفين القائِل «اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك»، اللهم صل عليه وعلىٰ آله وأصحابه المقتبسين من مشكاته المستضيئين بأنوار هداياته الذين أشرقت شموس المعرفة علىٰ مسالكهم فساروا فيها مهتدين آمنين وجاء مَنْ بعدهم بهم مقتدين.

وبعد فإن علم التوحيد هو أشرف العلوم وأساسها وما جاءت رسل الله من أولهم إلىٰ خاتمهم وأشرفهم عليه وعليهم أفضل الصلاة والتسليم إلا بالدعوة إليه مصرحين أنه لا نجاة إلا بتحقيقه ولا عبور في مفاوز الهلكة إلا باستصحابه ولا نيل للسعادة الأبدية ولا نجاة من الشقاء في العاجل والآجل إلا بالورود علىٰ مناهله الصافية النقية.

فنشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لا رب سواه ولا معبود إلا إياه لا شبيه له ولا نظير ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلىٰ الله عليه وآله وسلم نبياً ورسولاً، علىٰ ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نبعث إن شاء الله من الآمنين.

لقد درج سلف الأمة علىٰ إلقاء المسائل الإيمانية الإعتقادية وتثبيتها في نفوس الناشئة والعوام علىٰ أسلوب التلقين لهذه العقائد وترديد ذلك من غير إظهار حجة أو إبداء دليل أو ذكر تعليل فترسخت هذه العقائد في نفوسهم وملكت ألبابهم وبعدت عن خواطرهم الوساوس والشكوك والأوهام. تلقوا ذلك عن سيد الموحدين وإمامهم رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم وتعلموه من كتاب ربهم حيث قال لهم ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

وإن من فضل الله علىٰ عبيده أن جعل قلوبهم تنشرح للإيمان بهذا التلقين والالقاء في النفوس لأنه دين الفطرة كما قال تعالىٰ وتقدس ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

وفي حديث البخاري ومسلم من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ـ وفي رواية علىٰ هذه الملة ـ فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

إن الإيمان بالله مرتكز في نفوس البشر لذا نجد الإحساس بوجود الله موجود حتىٰ عند أصحاب الفطر المنحرفة يظهر عندما يواجه الإنسان جائحة لا يستطيع دفعها أو الهروب منها قال الله تعالىٰ ﴿ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾.

إن تلقين العقائد من النشأة الأولىٰ وعلىٰ العوام مما يجمع نفوسهم عليها ويزيدهم تمسكاً بها، ثم تقوى عرى الإيمان في النفوس بتلاوة كتاب الله ومعرفة تفسيره وقراءة الأحاديث النبوية وبما حوته من حجج قطعية، وما تؤثره مجالس الصالحين من العلوم النافعة وما يحدث من مشاهدتهم وما هم عليه من خضوع وخشوع فيذكر الله إذا رآهم من أتاهم وتطمئن القلوب بذكر الله.

إذا رؤوا يشهــــر ذكـــــر الله   فهـو لهـم سيمـا علىٰ الجبـاه
يعـرف معنـاهـم بـلا اشتبـاهِ   من حيث ما يعرف ذو الجلال

قال حجة الإسلام الغزالي في إحياء علوم الدين: وليس الطريق في تقويته ـ الإعتقاد ـ أن يعلم صفة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره إلى آخر كلامه النفيس رحمه الله تعالىٰ.

إن الله تعالىٰ وقد أوجب علىٰ خلقه توحيده والإيمان به أرسل اليهم رسله ووجَّه المكلفين إلىٰ النظر في مخلوقاته البديعة وما حوته من دقيق الصنع وجميل الخلق والتناسق بين الموجودات

ليستدلوا بها علىٰ وجوده وعلىٰ أسمائه وصفاته وأنه متصف بالكمالات واستغنائه عن الخلق وافتقارهم إليه وأنه ليس كمثله شيء وحجبهم عن التفكر فيه أو معرفة ذاته.

لقد أوضح الله لنا ذلك في حجاج موسىٰ عليه السلام لفرعون وإجاباته المتكررة له بأنه لا مطمع في معرفة الله إلا بآثاره وخلقه إذ نيل هذه المعرفة تعجز عنها العقول وتهلك النفوس دون تحصيلها لأن الله تعالىٰ لا تحيط به الفِكَر ولا تدركه العقول.

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وجاء في التوجيه النبوي فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله» وقد صدَّر الصدِّيق رضي الله عنه إحدى خطبه بقوله: الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلىٰ معرفته إلا بالعجز عن معرفته، لقد وجَّهنا الله إلىٰ النظر في أنفسنا وفي هذا الكون الفسيح وما حواه من مخلوقات لنستدل بها علىٰ وجوده وتوحيده ونؤمن به إلهاً واحداً لا نعبد إلا إيَّاه ولا نشرك به أحداً.

قال الله تعالىٰ ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ هذا الإنسان الكائن العجيب المسخر له ما في السموات وما في الأرض من أيِّ شيءٍ تمَّ خلقه وما هي الأطوار التي مرَّ بها هذا التخليق ﴿ وَلَقَدْ

خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾.

إن الله تعالىٰ وهو يذكر عجائب خلق هذا الإنسان يرشده إلىٰ أنه هو سبحانه الخالق له ليعرف أن له رباً يوحده ويؤمن به ويعبده. ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾، ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾، ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾.

ثم هذا الكون الكبير الذي لا يكاد يتناهى وما حواه من شموسٍ وأقمار ومجرات وما جعل لها من مسالك ومسارات يعجز الإنسان عن الإحاطة بها ومعرفة أسرارها ولم يكشف من أحوالها إلاَّ نزراً يسيراً بالنظر إلىٰ ما جُهِل كل ذلك مما يحدو العاقل إلىٰ الإيمان بالله وتوحيده.

قال أحد علماء المادة في هذا العصر «إن الإتساق البادي في الكون يدل دلالة باهرة علىٰ الله ولو كنت أعلم أكثر مما أعلم لكان إيماني بالله أشد وأعمق عما هو عليه الآن».

إن من أعظم الوسائل لتدريس علم التوحيد وغرسه في النفوس في هذا العصر الذي أظهر الله فيه لنا كثيراً مما خفي علىٰ السابقين من إعجاز في صنعه وخلقه نطقت به أو أشارت إليه آيات الكتاب العزيز أو جاء في أحاديث سيد المرسلين الإخبار عنه أو الإيماء إليه

مما يسمىٰ الإعجاز العلمي في القرآن والإعجاز العلمي في الحديث الشريف نشر هذه الكشوف وعرض هذا الإعجاز فإن ذلك مما يقوى به الإيمان وتترسخ جذوره ولقد قيَّض الله في هذا العصر بعض العلماء المتخصصين في فنون المعرفة كالطب والفلك وعلوم الأرض والنبات فكتبوا عن حقائق علمية تجلت فيها قدرة الله وأفصحت عن عظيم صنعه وربطوا ذلك بالإيمان بالله وبما أشار إليه في كتابه مما بعضه صريح الدلالة أو واضح الإشارة فبارك الله في جهودهم ونفع بعلومهم إن التوجه إلىٰ هذا المسلك في نشر توحيد الله مما ينبغي الإهتمام به ومما يجمع الدعاة إلىٰ الله علىٰ كلمة سواء.

لقد عنى كثير من علماء المسلمين من أهل السنة والجماعة الذين كتبوا في التوحيد ولا سيما الصفات بالإهتمام برد شبهات المبتدعة الذين ظهروا في العصور الأولىٰ وأقاموا الحجة علىٰ الملاحدة علىٰ وجود الله وتكاد تنحصر مقالاتهم في الرد علىٰ أهل الإعتزال واستعانوا في ردودهم مع الأدلة النقلية بعلم الكلام لسان خصومهم ليلزموهم بحججهم وقد ظهرت الغلبة لأهل السنة فيما أقاموه من مناظرات وما ألَّفوه من رسائل اعتنى بها من بعدهم بشرحها وتعليمها وما زال ذلك متوارثاً إلىٰ اليوم في كثير من دور العلم ومعاهده وقد اختلف أهل العلم من السابقين في علم الكلام فحرمه بعضهم وعده بدعة وقال أهله إنه من الواجبات أو فرض كفاية أو عين لأن به يكون التحقيق لعلم التوحيد والدفاع عن الدين أمام الملاحدة والمبتدعة مبررين الاصطلاحات الكلامية التي أحدثوها بأن لها

نظائر في سائر العلوم كالحديث والفقه وغيرها من العلوم وردوا ما وجه إليهم من الإعتراض علىٰ المعاني التي وردت في فنهم بأن المقصود بها معرفة الدليل علىٰ حدوث العالم ووحدانية الله. وقد استدلوا بآيات من كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ﴾ أي حجة وبرهان وبمحاجة إبراهيم عليه السلام لخصمه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ وعمدة استدلالهم علىٰ هذا النهج قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ إلىٰ غير ذلك مما فصله حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتاب إحياء علوم الدين وفي كتابه الإقتصاد في الاعتقاد وقد أتى فيهما بالقول الفصل والنصفة في الحكم وانتهىٰ إلىٰ القول إلىٰ أن تعلمه من فروض الكفاية لكي ترد شبه الملاحدة وأهل الابتداع وأنه يجب إلجام العامة عنه لما لذلك من مفاسد الشكوك والاضطراب في الاعتقاد وقد ألَّف الشيخ الفقيه المتكلم الأستاذ محمد بن علي باعطيه الدوعني شرحه علىٰ منظومة عقيدة العوام وأسماه موجز الكلام شرح عقيدة العوام وبذل في ذلك جهداً مشكوراً وعمل عملاً مبروراً يحتاج إليه الطلاب لدفع شبه أهل الزيغ من المبتدعة والملاحدة لقد جمع في شرحه فأوعى وأتى بما يغني الطلاب عن الرجوع إلىٰ المطولات فجزاه الله أفضل الجزاء ونفع بشرحه كما نفع بهذه المنظومة المباركة وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

في مكة المكرمة
٢٣ جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ

وكتبه
عمر بن حامد بن عبد الهادي الجيلاني

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الباقي على الدوام، المتفرد بالخلق والإيجاد والإعدام، سبحانه وتعالى اتصف بصفات الكمال، ونُعِتَ بنعوت الجلال، ليس كمثله شيء، ولا مِثْلَ ولا نِدَّ له في ذاتٍ ولا صفاتٍ ولا أفعال، تفرّد بالكبرياء واحتجب بالجلال، وأشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريك له الملك المتعال، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، بعثه مولاه هادياً وبشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً إلى كافة الناس، فدلَّ الخلق عليه، وأرشدهم إليه.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي المختار، وعلى آله وصحبه الأبرار، وعلى من نهج منهجهم وسار بسَيْرِهم من الأئمة الأخيار، وبعد:

لما رأيت عقيدة العوام للشيخ أحمد المرزوقي قد عمّ بها النفع، ودائماً يسارع في حفظها النشء، أحببت أن أضع عليها تعليقاتٍ مفيدةً، تشرح ألفاظها اللطيفة، وسمّيتها (موجز الكلام شرح عقيدة العوام)، وإن كُنتُ قد سُبقت لذلك العمل، والفضل للسابق ليس فيه جدل، خاصة وأن العلاّمة الشيخ محمد نووي جاوي قد وضّح ألفاظها، وشرحها شرحاً عجيباً مليئاً بالفوائد العلمية في ذات الفن وغيره، فأحببت اقتصار شرح المنظومة في موضوعها لأن الهمم قد

ضعفت، فجمعت من كتب أهل العلم في هذا المضمار ما يناسب المبتدىء فيه، وخاصة أن معرفة ألفاظ مثل هذه المنظومة والتي هي أول درجات السلم التي يرتقي عليها من أراد معرفة الصفات الواجبة لله تعالى، والمستحيلة عليه، والجائزة له. وهذا القدر الذي يخص الإلـٰهيات في أمور العقديات، وكذا ما يشتمل على النبوَّات والسمعيات، ومنها يتدرج الطالب في غيرها من أمهات الكتب في فهم عقيدة أهل السنة والجماعة، والتي يجب أنْ يتحصن بها المؤمن وخاصة طالب العلم، في زمن ساد فيه مذهب أهل الأهواء من المبتدعة، وأصبح لا خلاص إلا بدراسة وافية تثبِّت بها قواعد مذهب أهل السنة والجماعة في نفس طالب العلم، حتى لا تدفع به الأهواء إلى أهل الضلال من الفرق التي ذكرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديثه، والتي أوضح فيها افتراقَ أمته إلى ثلاثٍ وسبعين فرقةً كلها في النار إلا فرقةً ناجية وهي التي على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، كما في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إذا كان منهم من أتى أُمَّه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي»[١]. رواه

---

(١) سنن الترمذي.

الترمذي وأبو داود. وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة»(١).

فانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام إلا الجماعة وهو ظاهر على أنهم أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم من علماء المسلمين، فتدبر رحمك الله إلى جماعة المسلمين وإلى أي اعتقاد صاروا فصر إليه واترك أهل الأهواء والضلال.

وقد أوضح ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إن مَن قبلَكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارَىٰ - أي تتجارَىٰ - بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب(٢) بصاحبه لا يبقَىٰ منه عرق ولا مفصل إلا دخله»(٣). وجاء في رواية: «قالوا من هي يا رسول الله قال: ما أنا عليه وأصحابي»(٤) وفي أخرى: «كلها في النار إلا السواد الأعظم»(٥).

---

(١) سنن ابن ماجه.

(٢) الكَلَب: داء يعرض من عض الكلب.

(٣) سنن أبي داود، مسند الإمام أحمد.

(٤) سنن الترمذي.

(٥) سنن البيهقي.

وقد بيَّنا لك أنه يجب عليك أن يكون اعتقادُك اعتقادَ السواد الأعظم من المسلمين، فانظر ذلك جيداً وتدبره واترك ما سواه وتبصر في أمر نفسك لا تتجارىٰ بك الأهواء.

والفرق المذمومة في هذه الأحاديث هي فرَق أصحاب الأهواء الضالة الذين خالفوا الفرقة الناجية في مسائل العدل والتوحيد، أو الوعد والوعيد، أو القدر والاستطاعة، أو تقرير الخير والشر، أو الإرادة والرؤية، أو في صفات الله تعالى، أو في باب من أبواب النبوة وشروطها، ونحو ذلك مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، فكانوا على أصل واحد، وخالفهم فيه أهل الأهواء من قدرية وخوارج وروافض وجهمية ومجسمة ومَن جرى مجراهم. وليس منه بحال ما اختلف فيه أئمة الفقه من فروع الأحكام في أبواب الحلال والحرام. والحاصل أن علماء الإسلام قالوا: قد ظهرت من أصول الفرق: الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية، فهذه الستُّ أصل الفرق الضالة، وانقسمت كل منها إلى اثنتي عشرة فرقة فصارت اثنتين وسبعين فرقة. ونقل القرطبي عن بعض العلماء قوله: «هذه الفرقة التي زادت في فرق أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هم قوم يعادون العلماء ويبغضون الفقهاء ولم يكن ذلك في الأمم السالفة»[1].

فائدة: قال الفضيل بن عياض: «من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها، ومن جلس مع صاحب بدعة لم يُعطَ الحكمة».

---

(١) انتهى من كتاب «عون المريد لشرح جوهرة التوحيد».

وابتدأ الناظم منظومته باسم الله حيث قال: (أبدأ باسم الله) أي أبدأ نظمي هذا باسم الله تعالىٰ متبركاً به ومستعيناً به على إتمام هذه المنظومة التي حوت مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين، إقتداء بالقرآن الكريم، لأن أول شيء في كتاب الله تعالىٰ، بسم الله الرحمٰن الرحيم. ولا يعارَض بأن أول ما نزل: اقرأ باسم ربك الذي خلق، لأن القرآن له تَنَزُّلان، حيث نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا بهذا الترتيب الذي في المصحف، ونزل منجَّماً على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حسب الأحوال والحوادث، وكان أوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ فكان في تَنَزُّلاته جميعاً الابتداءُ باسم الله تعالى، وعملًا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع أو أجذم أو أبتر». والمعنى ناقص وقليل البركة، وهو وإن تم معنىً لا يتم حِسّاً. والأمر ذو البال هو كل ما يُهتم به شرعاً، فعلًا كان كالتأليف، أو قولًا كالقراءة، شريطة أن لا يكون محرماً لذاته، أو مكروهاً لذاته، أو ذكراً محضاً، أو مما جعل له الشارع مبدأً غير البسملة كالأذان، أو لا يكون من سفاسف الامور ككنس زبل ونحوه.

تنبيه: تطلب البسملة عند قراءة كلِّ سورة من سور القرآن، وتجب عند تلاوة الفاتحة في الصلاة، وتحرم عند افتتاح سورة براءة عند ابن حجر وتكره عند الرملي، وتكره في أثنائها عند ابن حجر،

وتستحب في أثنائها عند الرملي. فإن قيل: هذه المنظومة شعر، وقد قال العلماء: لا يُبدأ الشعر بالبسملة، أُجيبَ بأن الشعر الذي لا يبدأ فيه بالبسملة، هو ما احتوى على مدح مَن لا يجوز مدحه، أو ذم من لا يجوز ذمه، وأما هذه المنظومة فموضوعها علم التوحيد وهو أشرف العلوم، فكانت من الأمور ذوات البال.

فإن قيل أيضاً إن نظم البسملة في الشعر يكره أو هو خلاف الأولى ـ قيل إن ذلك لا يَرِدُ على هذه المنظومة لأن ناظمها قد سمعها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رؤيا منامية بادئاً بالبسملة فيها نظماً بهذه الكيفية فأثبتها كذلك.

والباء في بسم الله للمصاحبة مع التبرك.

لطيفة: قال بعضهم: كُسِرَتِ الباء في البسملة تعليماً للتوصل إلى الله تعالى والتعلق بأسمائه بكسر الجناب والخضوع القلبي وذل العبودية.

و: **اسم**: مشتق من السمو بمعنى العلو والرفعة، لظهور مسماه به لأن التسمية تنويه بالمسمى ورفع لقدره، أو هو مشتق من الوسْم بمعنى العلامة لأنه علامة دالة على المسمى.

والجار والمجرور هنا متعلق بفعل أَبدأُ، كما في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾. وإضافة اسم إلى لفظ الجلالة من إضافة العام للخاص، لأنه يعم لفظ الجلالة وغيرَه من باقي الأسماء الواردة، لأن أسماء الله توقيفية فلا يجوز أن تطلق عليه إلا ما ورد النص به عند أهل التحقيق.

وإنما خص في البسملة لفظ الجلالة لأنه الإسم الجامع، فالله ـ عَلَم للذات المتصف بكل كمال المنزه عن كل نقص ولذلك هو الإسم الأعظم عند أهل التحقيق.

ولأن الله تعالىٰ قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] وإنما لا تحصل الإجابة به لبعض الناس لفقد الشروط والتي من أهمها أكل الحلال.

واختلف العلماء في لفظ الجلالة هل هو مشتق أو لا:

قال الرازي: إن لفظ الإلٰه على قول كثير من العلماء مشتق من العبادة فكان دالاً على كونه سبحانه مستحِقاً للعبادة لما اتصف به من كمال العظمة والجلال.

وقال بعضهم: إنه مشتق من (وَلِهَ) إذا تحير، أبدلت واوه همزة ولما أرادوا تفخيمه أدخلوا عليه الألف واللام، فالله تعالى يحير أولئك في الفكر في حقائق صفاته وعظمته.

وقيل أنه مشتق من أَلِهْتُ إلى فلان أي سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته.

وقيل أنه من ولاه إذا احتجب، أو من أَلِهِ إذا أولع، أو من الوله أي المحبة الشديدة، فالعباد يولهون به ويطربون بذكره.

أو من تألهت إذا تضرعت فالإلٰه هو الذي يُتضرع إليه. وقيل من أَلِهِ إلى فلان إذا فزع إليه من أمر نزل به، فالخلق يفزعون إليه سبحانه في جميع الأمور.

واختار الرازي والخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء أنه غير مشتق البتة، بل هو عَلَم ابتداء لذاته سبحانه من غير اعتبار صفة ولا ملاحظة معنى من المعاني المذكورة، ولا يعرف في كلام العرب له اشتقاق.

ومما استدلوا به على ذلك أنه لو كان مشتَقّاً لاشترك في معناه كثيرون. قال بعض العارفين أنه اسم للذات الإلٰهية من حيث هي على الإطلاق، لا باعتبار اتصافها بالصفات، والألف واللام فيه لازمة، ولولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام فتقول يا الله ولا تقول يا (الرحمٰن).

(والرحمٰن) والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة في الفعل. قال في الدرة: والرحمة لغة: رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والإحسان، وهي مستحيلة على الله بهذا المعنى، وإنما المراد بها غايتها. وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك إنما تؤخذ من نحو الغايات دون المبادىء التي تكون انفعالات. انتهى.

فإذاً، الرحمة في حقه تعالى، إما بمعنى الإحسان، وهو صفة فعل كالإحياء والإعزاز، وهي عبارة عن تعلق القدرة التنجيزي الحادث، أو إرادته وهي صفةُ ذاتٍ كالقدرة والعلم فهما بمعنى المحسن أو مريد الإحسان.

والحاصل إما أن يقال أن الرحمة من صفات الذات، وهي إرادة إيصال الثواب والخير ودفع الشر، فالباري سبحانه في الأزل رحمٰن ورحيم لأن إرادته أزلية، وقد أراد أزلاً أن ينعم على عباده المؤمنين فيما لا يزال.

ويمكن جعل الرحمة من صفات الفعل وهي إيصال ما أراده الله من خير ودفع شر.

وصفات الذات: هي ما يوصف بها ولا يوصف بضدها نحو القدرة والعزة والعظمة.

وصفات الفعل ما يجوز أن يوصف بها وبضدها كالرضا والغضب لكن الرحمٰن ـ بمعنى المنعم بجلائل النعم وهي أصولها كالوجود والإيمان والعافية والرزق والعقل والحواس وغير ذلك.

(وبالرحيم) أي كذا أبدأ بالرحيم، وهو المنعم بدقائق النعم وهي فروعها كالجمال وزيادة الإيمان ووفور العافية وسعة الرزق ودقة الفهم وحدة السمع والبصر، وفيه إشارة من الناظم لما تفضل الله عليه به من زيادة الإيمان بمعرفة مذهب أهل السنة والجماعة والذي حوته المنظومة.

لذلك قال (دائم الإحسان) أي أنه دائم التفضل على عبيده سبحانه وتعالىٰ أي أن تفضله مستمر أبداً وأزلاً لا انقطاع فيه.

(فـ): من أجل ذلك أثنى الناظم على الله بلسانه على هذه النعمة مع تعظيمه إياه مع اعتقاده أن كُلَّ ثناءٍ ثابتٌ له.

وافتتح الناظم بـ (**الحمد لله**) أداء لحق شيء مما يجب عليه من شكر النعماء التي تأليف هذه المنظومة أثر من آثارها.

وإذا قيل: أن الابتداء بالبسملة يفوت الابتداء بالحمدلة وبالعكس.

قلنا: حمل العلماء الابتداء بالبسملة على الحقيقي وهو ما لم يسبقه شيء، والابتداء بالحمدلة على الإضافي. ويكون المعنى إرادة الابتداء بالبسملة والحمدلة حيث لا يبدأ بأمر قبلهما البتة.

وبهذا يُجمع بين الأحاديث الواردة في البسملة والحمدلة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع..» وبقوله عليه الصلاة والسلام: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع..».

والحمد لغةً: هو الثناء باللسان على فعل الجميل الإختياري على جهة التعظيم والتبجيل سواء كان في مقابلة نعمة أم لا.

واصطلاحاً: فعل ينبيء عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعماً على الحامد أو غيره، سواء أكان ذلك الفعل اعتقاداً بالقلب، أو قولاً باللسان، أو عملاً بالأركان التي هي الأعضاء كما قال القائل:

أفـادتكـم النعمـاء منـي ثـلاثـة   يدي ولساني والضمير المحجبا

فاليد للطاعة واللسان للثناء والضمير للحب والتعظيم.

قال العلامة المناوي: (وجَعْلُ ذاك لُغَوياً ـ أي الحمد ـ في تعريفاته وذا عرفياً، إنما هو اصطلاح، وإلا فقد تطابق أهل اللغة على أن حقيقة الحمد: الوصف بالجميل لمن لا تتناهى كمالاته، إذ كُلُّ كمالٍ ثابتٌ له، منسوبٌ إليه، لأن الكمال إما قديم فهو وصفه، وإما حادث فهو فعله، فحامدُه مُثْنٍ عليه بصفاته الكريمة وأفعاله الحميدة، ومخبرٌ بمحاسنه سبحانه على وجه الحب له. ومحاسنه سبحانه إما قائمة بذاته، وإما ظاهرة في مخلوقاته، إذ كل ذرة من ذرات هذا الكون شاهدةٌ بحمده ولهذا سبح بحمده السمٰوات السبع والأرضون ومن فيهن (وإن من شيء إلا يسبح بحمده. . .) انتهى[1].

وأقسام الحمد أربعة وهي:

حمد قديم لقديم: وهو حمده لذاته بذاته كقوله تعالىٰ ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

وحمد قديم لحادث: وهو حمده تعالىٰ لأنبيائه وأصفيائه كقوله تعالىٰ في عبده أيوب: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [صٓ: ٣٠].

وحمد حادث لقديم: وهو حمد مخلوق لله تعالىٰ كقولنا: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ.

وحمد حادث لحادث: وهو حمد المخلوق للمخلوق كقولنا: (نعم الرجل فلان).

---

(١) من كتاب «عون المريد شرح جوهرة التوحيد».

وللحمد أركان خمسة:

حامد: وهو منشىء الحمد.
ومحمود: وهو مستحق الحمد.
ومحمود به: وهو اللسان.
ومحمود عليه: وهي النعمة.
وصيغة: كقولك الحمد لله.

ويعتري الحمدَ أربعة أحكام:

الوجوب: كالحمد في الصلاة وخطبة الجمعة.
والندب: كالحمد في خطبة النكاح وابتداء الدعاء ونحوه.
والحرمة: كالحمد على المحرم لذاته كشرب الخمر ونحوه.
والكراهة: كالحمد على فعل المكروه لذاته كنتف الشيب.

وكلمة الحمد جاءت بالرفع دلالةً على الدوام والثبات، واللام فيها للاستغراق كما ذهب إليه الجمهور، فتدل على أن كل حمد صدر من كل حامد فهو ثابت لله تعالىٰ.

فائدة: قال العلامة محمد نووي جاوي في كتاب نور الظلام: من غريب الاتفاق أن أحرف الحمد خمسة، وقد ابتُدِىء به في القرآن خمس سور:

الأولى: سورة الفاتحة.

والثانية: سورة الأنعام وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾.

والثالثة: سورة الكهف وهي ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

والرابعة: سورة سبأ وهي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

والخامسة: سورة الملائكة وهي: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾.

واختتم به خمس سور أيضاً:

الأولى: سورة بني إسرائيل وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

والثانية: سورة النمل وهي: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا﴾.

والثالثة: سورة الصافات وهي: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾.

والرابعة: سورة الزمر وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

والخامسة: سورة الجاثية وهي قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. انتهى.

وقول الناظم (القديم) أي الموجود الذي الذي ليس لوجوده ابتداء.

(الأول): وهو الذي لا افتتاح لوجوده؛ **(الآخر)**: وهو الذي لا اختتام لوجوده؛ **(الباقي)**: الدائم الذي لا يزول؛ **(بلا تحول)**: أي من غير انتقال من حال إلى حال، لأن ذلك من صفات الحوادث، والله تعالىٰ على خلاف ذلك، بل هو الموصوف بنعوت الجلال، إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فائدة: قال الشيخ محمد نووي جاوي في نور الظلام: اعلم أن الأشياء على أربعة أقسام:

شيء لا أول له ولا آخر له وهو ذات الله تعالىٰ وصفاته.

وشيء له أول وآخر وهو ذات المخلوقين وصفاتهم.

وشيء ليس له أول وله آخر وهو عدمنا الأزلي فينتهي بوجودنا.

وشيء له أول وليس له آخر وهو الدار الآخرة.

* * *

(ثم): أي بعد ما ذكر أولاً. (**الصلاة والسلام سرمدا**): أي رحمة الله تعالىٰ المقرونة بالتعظيم، وتحيته اللائقة به، على النبي وآله وصحبه ومَن تَبِع والمعنى أطلب منك يا الله الرحمة المقرونة بالتعظيم والتحية العظمى لهؤلاء المذكورين. (سرمدا) أي دائمة.

(**على النبي**): والنبي مشتق من (النبأ) بمعنى الخبر، فهو يخبر عن الله تعالىٰ، لأنه أنبأ عنه إن كان مع نبوته رسولاً، أو مخبر عن حاله بالنبوة إن لم يُرسَل. فنبي فعيل بمعنى (مُفعِل) مثل نذير ومُنذِر، أو فعيل بمعنى (مفعل).

حيث أن الله أطلعه على ما يشاء من الغيب، وأنبأه بنبوته بواسطة المَلَك. وإن اشتُقَّ من النبوة والنباوة وهي الرفعة والإرتفاع، فلأنه شُرِّف على سائر الخلق، وأتى أرفع المنازل وأعلى المراتب، فهو مرفوع بنفسه، رافع لشأن مَنِ اتبعه. قال تعالىٰ: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ولا يصغَّر لفظ النبي، لأن تصغير الأسماء المعظمة ممتنع شرعاً. وقد تُرِكَت همزته مع اشتقاقه من النبأ.

لما ورد أن أعرابياً قال: (يا نبيء الله) فأنكر عليه لفظَهُ ذلك لأنه ليس من لغة قريش. وقال له: (لا تنبر باسمي فإنما أنا نبي الله). وفي رواية (لست نبيء الله ولكني نبيُّ الله).

والنبي عرفاً: إنسان ذكر حر من بني آدم، سليم عن منفِّرٍ طبعاً، وعن دناءة أب، وخنا أم، أوحي إليه بشرع يعمل به ولم يؤمر بتبليغه، فإن أُمر بتبليغه فرسول ونبي.

فبينهما العموم والخصوص المطلق لأن كُلَّ رسولٍ نبيٌّ ولا عكس.

وخرج بالإنسان بقية الحيوانات. وكَفَرَ من قال: «في كل أمة نذير» بمعنى أنه في كل جماعة من الحيوانات رسول. وأما قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] فهو في أمم البشر الماضية.

وخرج بالذكر الأنثى والقول بنبوَّة مريم وآسية امرأة فرعون وحواء وأم موسى وهاجر وسارة، هو مرجوح وغير صحيح، لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾ [يوسف: ١٠٩].

وخرج بالحر الرقيق، ولا يَرِدُ لقمان لأنه غير نبي. وخرج بقولنا: من بني آدم، الجن والملائكة. ولا يَرِدُ على التخريج قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٣٠] لأن معناه ألم يأتكم رسل من بعضكم وهم الإنس، أو المراد بالرسل السفراءُ منهم أي النواب منهم عن رسل الإنس، لا رسلٌ عند الله، ودليل ذلك: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴾ [الجن: ١]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ إلى

قوله تعالى: ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٠]. ولا يَرِدُ أيضاً قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا ﴾[الحج: ٧٥]. لأن معناه أنهم سفراء بين الله وبين أنبيائه يبلغونهم عن الله تعالىٰ الشرائع.

وخرج بالسليم عن المنفِّر غيرُ السليم عن المنفر، فمن كان فيه منفِّر كعمى وجذام وبرص لم يكن نبياً ولا رسولاً.

ولا يرد بلاء أيوب وعمى يعقوب، لأنه أمر ظاهري وليس حقيقياً، وإن اعتبرناه حقيقياً فإنه طرأ بعد تقرير النبوة، والكلام فيما قارنها فلا يَرِدُ أيضاً.

وقوله: (خير من قد وحدا) وخير بالجر بدل من النبي أو صفة ويجوز رفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف. والمعنى أن النبي ﷺ أفضلُ جميع الموحدين على الإطلاق والتخصيص، فهو أفضل الإنس بما فيهم الأنبياء والرسل، وأفضل الجن والملائكة. والإجماع منعقد على تفضيله عليه الصلاة والسلام على الملائكة بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة وغيرهم، إلا أن الزمخشري خرق الإجماع وقال بتفضيل جبريل عليه السلام على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وكلامه في ذلك مردود واستدلاله مرفوض، وسيأتي الكلام على هذه المسألة مفصلاً إن شاء الله في موضعه.

* * *

(و) الواو عاطفة أي أصلي وأسلم على (آله) والآل له معان كثيرة باعتبار المقامات، ففي الدعاء: كلُّ مؤمن ولو عاصياً، لأن العاصي أشد احتياجاً للدعاء، وفي مقام المدح: كلُّ مؤمن تقي وفي مقام الزكاة: بنو هاشم وبنو المطلب.

قال في الدرة اليتيمة شرح السُّبحة الثمينة: والآلُ: هم من حُرِم الصدقة وهم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب. وأما أهل بيته الذين جاء ذكرهم في الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]. فهم سيدنا علي وسيدتنا فاطمة الزهراء وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، رضي الله عنهم، ونسلهم إلى يوم القيامة، وهم عترته، حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن أدخلهم في الكساء: «هؤلاء هم أهل بيتي» ويدل على ذلك ما رواه مسلم في صحيحه حيث قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]. دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» انتهى.

(و) أصلي أيضاً وأسلم على (صحبه) وهو جمع صاحب له صلى الله عليه وآله وسلم.

والصاحب لغة: من طالت عشرتك به.

والمراد هنا الصحابي: وهو من اجتمع بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً به، بعد البعثة، في الأرض، وإن لم يَرْوِ عنه شيئاً أو لم يميز على الصحيح ومات على الإسلام.

فيخرج من التعريف من آمن به قبل البعثة كورقة بن نوفل، ويدخل بقولنا في الأرض من لقيه من الملائكة في الأرض.

فعيسى عليه السلام يكون آخر الصحابة من البشر الظاهرين.

وأما الملائكة فباقون إلى النفخة، والخضر يموت عند رفع القرآن. والخضر وإلياس حَيَّان على المعتمد، وإلياس رسول بنص القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٢٣]. وأما الخضر فالصحيح الذي عليه شيوخنا أنه ولي وليس بنبي ولا رسول، وقيل إنه نبي، وقيل إنه رسول. ويدخل بقولنا: وإن لم يره من اجتمع به من الصحابة كعبد الله بن أم مكتوم، وكذا من حنكه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصبيان وإن لم يميز، كما تقدم في التعريف.

وقولنا ومات على الإسلام جعلها بعضهم شرطاً أي في دوام الصحبة لا لأصلها، فإن ارتد ومات مرتداً فليس بصحابي كعبد الله ابن خَطَل، وأما من عاد إلى الإيمان كعبد الله بن أبي السرح فتعود له الصحبة لكن مجردة عن الثواب.

وقول الناظم (ومن تبع) أي جميع من أتى بعد الصحابة من المؤمنين إلى يوم القيامة، وكان ممن تبع (سبيل) أي طريق (دين الحق) خرج به دين الباطل سواء أكان باطلاً من أساسه كدين الكفرة

والملحدين أو من دان بالإسلام ولكن بدَّل وغيَّر في أمور الاعتقاد من أهل البدع والضلال. فدين الحق هو ما وافق الكتاب والسنة والإجماع أو القياس، وهو المراد هنا. والدين ما يُتديَّن به حقاً كان أو باطلاً.

ويطلق الدِّين على عدة معان منها: الطاعة والعبادة والجزاء والحساب.

واصطلاحاً: هو ما شرعه الله على لسان نبيه من الأحكام.

وقول الناظم: (غير مبتدع) أي في دينه، والمبتدع من خرج عن الحق بسبب بدعته تلك، كالخوارج والمعتزلة والرافضة والمجسمة وغيرهم.

(وأخطر البدع)[1] وأبرزها بدع العقائد التي فرقت المسلمين وضلت بها فرق كثيرة، كالقدرية والمجسمة والخوارج الذين اعتقدوا الحق فيهم، وكفَّروا من خالفهم من المسلمين، وهي أول الفرق التي ظهرت في عهد الصحابة وانحازت عن أصحاب (أمير المؤمنين) سيدنا علي، وكفرت مخالفيها واستباحت دماءَهم وأعراضهم وأموالهم، فقد كانوا يطالبون الإمام علي كرم الله وجهه بسبي أسرى أصحاب الجمل المتأولين، فقال: أترون سبي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها؟!

وقد سبق أن أشرنا إلى أن ضلالهم جاء من أخذهم بالظواهر والعموميات وبجهلهم بالسنة أو رفضهم لها (أو من تأويلهم لها

---

(١) السنة والبدعة للسيد عبد الله محفوظ الحداد ١٩٠/ ١٩١.

تأوُّلاً لا مسوغ له) أو كما قال ابن عمر رضي الله عنهما: عمدوا إلى آيات من القرآن نزلت في الكفار فطبقوها على المؤمنين، كما يصنع خلفاؤهم في كل زمان ومكان، من تبديع المؤمنين وتضليلهم أو تشريكهم وتكفيرهم بالأوهام والظنون، هذا مع ما ثبت في غير ما حديث من الكف عمن قال: لا إله إلا الله. وفي حديث أنس: ويستقبلون قبلتنا ويصلون صلاتنا فلهم ما للمسلمين. وعند أبي داود: ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل.

وسئل جابر بن عبد الله: هل كنتم تدعون أحداً من أهل الإسلام مشركاً؟ فقال: معاذ الله. رواه أبو يعلي والطبراني في الكبير برجال الصحيح. كما في مجمع الزوائد. ويقابل الخوارج في البدعة، الروافض الذين يسبون الشيخين رضي الله عنهما، وكذلك النواصب الذين يسبون علياً كرم الله وجهه، فكل هؤلاء مبتدعة فساق.

ومثل هذه البدعة... البدع المنتشرة في زماننا، وهي التي بحاجة ملحة إلى محاربة وتصحيح، كمثيلاتها من البدع العلمية المنتشرة في طول العالم الإسلامي وعرضه، كالاحتكام إلى غير شرع الله، بل إلى الطاغوت الذي سموه القوانين الوضعية لاستبعاد قانون الله، والتي أباحت الزنا والربا وشرب الخمر..) انتهى.

والبدعة لغةً: ما كان مخترعاً على غير مثال سابق.

وشرعاً: ما أُحدث على خلاف أمر الشارع.

قال الإمام الشافعي[1] رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه: المُحْدَثات من الأمور ضربان، أحدهما: ما أُحدِث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة.

والثانية: ما أُحدِث من الخير مما لا خلاف فيه لواحد من هٰذه، فهي محدثة غير مذمومة. وقد قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في قيام رمضان: نعمت البدعة هذه. يعني أنها مُحدَثة لم تكن، وإن كانت لم تكن فيها رد لما مضى.

قال الشيخ محمد نووي جاوي: والبدعة من حيث هي، منقسمة إلى أقسام خمسة:

أَحدها: واجب: وهو ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع، كتدوين القرآن والشرائع إذا خيف عليها من الضياع، فإن التبليغ لمن بعدَنا من القرون واجب إجماعاً، وإهمال ذلك حرام إجماعاً. زاد بعض المتأخرين ومن البدع الواجبة على الكفاية، الاشتغال بعلوم العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة كالنحو والصرف والمعاني والبيان واللغة.. بخلاف العروض والقوافي ونحوها، وتمييز صحيح الأحاديث من سقيمها، وتدوين نحو الفقه وأصوله وأدلته، والرد على القدرية والجبرية والمرجئة والمجسمة إذا دعت إلى ذلك حاجة، لأن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على المتعيِّن، ولا يأتي حفظهما إلا بذلك، وما لا يأتي الواجب المطلق إلا به فهو واجب.

---

(١) سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ص٣٦٤.

وثانيها: حرام وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم وأدلته الشرعية، كالمكوس، وتقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح لها بطريق التواتر، وجَعْل المستند في ذلك كون المنصب كان لأبيه وليس فيه أهلية له.

وثالثها: مندوب: وهو ما تناولته قواعد الندب وأدلته كصلاة التراويح جماعة، وإقامة صور(١) الأئمة والقضاة وولاة الأمور على خلاف ما كان عليه الصحابة (رضوان الله عليهم) بسبب أن المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل إلا بعظمة الولاة في نفوس الناس. وكان الناس في زمن الصحابة رضي الله عنهم إنما يعظِّمون بالدين وسابق الهجرة والإسلام، ثم اختل النظام حتى صاروا لا يعظِّمون إلا بالصور. زاد بعضهم ومن البدع المندوبة إحداث نحو الرُّبُط والمدارس، وكل إحسان لم يعهد في الزمان الأول، والكلام في دقائق التصوف.

ورابعها: مكروه: وهو ما تناولته أدلة الكراهة من الشريعة وقواعدها. كتخصيص الأيام الفاضلة على غيرها بنوع من العبادة (لم تشرع فيها).. زاد بعضهم ومن البدع المكروهة: زخرفة المساجد وتزويق المصاحف.

---

(١) إن أراد الشيخ بالصور مثال الشخص وهي الصورة الفتوغرافية أو برسم اليد فهذا ظاهر في عدم ندبه وإن أراد ترسمهم بزي معين ولباس يُعرفون به فمثاله في محله وأظن أنه أراد الأمر الثاني والله أعلم.

وخامسها: مباح: وهو ما تناولته أدلة الإباحة وقواعدها من الشريعة. كاتخاذ المناخل للدقيق، ففي الآثار: أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتخاذ المناخل، لأن لين العيش وإصلاحه من المباحات فوسائله مباحة. ذكر ذلك إبراهيم اللقَّاني قال ابن حجر (ومن المباحة ـ أي البدعة ـ التوسع في لذيذ المآكل والمشارب) وتوسيع الأكمام وهو أطراف يد القميص، وقد يختلف العلماء في ذلك فيجعله بعضهم مكروهاً وبعضهم سنة، وكذلك المصافحة بعد صلاة العصر والصبح، على ما قاله ابن عبد السلام.. أي إذا صافح من معه قبلها أما من ليس معه قبلها فمصافحته مندوبة، لأنها عند اللقاء سنة إجماعاً، وكونه خصها ببعض الأحوال وفرط في أكثرها لا يخرج ذلك البعض عن كونها مشروعة. انتهى.

وهذا التقسيم الذي نقلناه كان تقسيم الإمام المجاهد المجمع على إمامته[١] وجلالته في أنواع العلوم وبراعته أبو محمد العز بن عبد السلام في آخر قواعده، ونقلها عنه الإمام الأثري المجمع على إمامته وجلالته الفقيه الحافظ أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللغات، وتبع ابن عبد السلام تلميذه القرافي، ثم ابن الأثير وجماعة من الحفاظ من آخرهم شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، ثم نقلها عنه الإمام الشوكاني في نيل الأوطار، وكلهم أقرها وأدخل عليها الأحكام الخمسة بحَسَب ما تقتضيه الأصول والشواهد، وكلهم أقروا تقسيمها

---

(١) السنة والبدعة للسيد عبد الله محفوظ الحداد ص١٩٤/ ١٩٥.

إلى حسنة ومذمومة، وأنها قد تعتريها الأحكام الخمسة. وقد سبقهم الإمام الشافعي ثم الحافظ أبو بكر بن العربي كما سبق نقل كلامهم، كل هذا بالنظر إلى معناها اللُّغوي الشامل للحسن والقبيح.

قوله (وبعد) أي وبعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام فأقول، وقد جرت عادة المؤلفين بذكر هذه اللفظة في أوائل كتبهم اقتداءً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه كان يأتي بها في خطبه ومراسلاته، واستمر العمل على ذلك.

وأصلها: أما بعد، حُذفت أما وعوّض عنها الواو وهي كلمة يؤتىٰ بها للإنتقال من أسلوب إلى آخر، فلا يؤتىٰ بها بين كلامين متجانسين ولا أول الكلام ولا آخره. واختُلف في أول من نطق بها: فقيل: سيدنا آدم عليه السلام، وقيل سيدنا داوود عليه السلام، وقيل أنها كانت له فصل الخطاب، وقيل أول من تكلم بها يعرب بن قحطان، وقيل قس بن ساعدة الإيادي، وقيل يعقوب، وقيل كعب ابن لؤي، وقيل سحبان وائل، ولذلك يقول:

لقد علم الحيُّ اليمانون أَنني إذا قلت ـ أما بعدُ ـ أَني خطيبها

قوله: (فاعلم) ـ أيها المكلف ـ والفاء واقعة في جواب الشرط الذي نابت عنه الواو، وأصل الكلام، فمهما يكن من شيء فأقول بعد البسملة والحمدلة... والعلم: هو إدراك الشيء بحقيقته، أو هو الجزم القاطع المطابق للواقع عن دليل، لذلك لما أراد الله تعالىٰ تنبيه كلِّ مكلف على معرفة ذاته وصفاته ونفي الشريك له

قال: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴾ [محمد:١٩]. والخطاب هنا للمكلف. والمكلف: هو البالغ العاقل مع بلوغ الدعوة وسلامة الحواس.

هذا في الإنس، أما الجن فهم مكلفون من أصل الخلقة فلا يتوقف تكليفهم على البلوغ، فخرج بالبالغ الصبي فهو غير مكلف، فمن مات قبل البلوغ فهو ناج ولو من أولاد الكفار ولا يعاقب على كفر ولا غيره. قال الإمام النووي(١) : وأجمع من يُعتَدُّ به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً، وتوقف فيه بعض من لا يُعتَدُّ به. انتهى.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها، حيث توفي صبي من الأنصار، فقالت: طوبىٰ له، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه. قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أَوْ غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم». وقد أجابوا على هذا الحديث بأنه لعله نهاها عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع.

ورواية: «ليس من مولود يولد إلاّ على هذه الفطرة، حتى يعبّر عنه لسانه» قالوا: يا رسول الله، أفرأيت من يموت صغيراً؟ قال: «الله أعلم بما كانوا عاملين».

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٦/ ٢٠٧.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الله أعلم بما كانوا عاملين» ليس فيه تصريح بأنهم في النار أو غيرها، بل فيه أنه سبحانه أعلم بما كانوا لو بلغوا فهو من باب ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]. أي لو كبر، وهم لم يبلغوا، إذ التكليف لا يكون إلاّ بعد البلوغ. وأما أولاد الكفار[١]، فالناس فيهم على مذاهب: منهم من توقف ووكل مصيرهم إلى الله تعالى لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال أمر هذه الأمة قواماً أو مقارباً ما لم يتكلموا في الوِلْدان والقَدَر»[٢].

والوِلْدان: أراد بهم أولاد المشركين. ومن هنا كره جماعة من أهل العلم الخوض في هذه المسألة، ولعله الأسلم. قال الإمام النووي رحمة الله عليه: والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أن أولاد المشركين من أهل الجنة، ويُستَدَل له بأخبار، منها حديث الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس. فقالوا: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ قال: وأولاد المشركين. رواه البخاري في صحيحه. وخرج بالعاقل المجنون، فهو ليس مكلفاً، لكن محل ذلك إن بلغ مجنوناً واستمر مع ذلك حتى مات، بخلاف ما لو بلغ عاقلاً ثم جُن وكان غير مؤمن ومات كذلك فهو غير ناج. وخرج ببلوغ الدعوة من لم تبلغه الدعوة فهو ليس بمكلف، وذلك بأن نشأ في شاهق

---

(١) بتصرف يسير من كتاب عون المريد ١/١٤٦.

(٢) في صحيح ابن حاتم وابن حبان.

جبل أو في الأدغال، وكذلك من بلغته الدعوة محرَّفة مشوَّهة بالمنفِّرات وأباطيل المُضِلين، له حُكْمُ من لم تبلغه أصلًا، إلا أن تلوح له الحقيقة من وراء دخان التشويه ويعرض عن النظر فيها مع قدرته، هذا وقد تواترت النصوص على أنه سبحانه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه، وقد ذهب الإمام الشافعي رحمة الله عليه على وجوب الدية مع الكفارة على من لقي أحداً لم تبلغه الدعوة فقتله دون أن يقيم عليه الحجة. انتهى.

وخرج بقولنا: مع سلامة الحواس، فاقد الحواس، فليس بمكلف. وذلك بأن كان فاقد الحواس من أصل الخلقة، أو فقد الحواس بعد ذلك وقبل بلوغه أو بعد بلوغ الدعوة. والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أربعة يحتجُّون يوم القيامة، رجل أصم لا يسمع، ورجل هَرِم، ورجل أحمق، ورجل مات في الفترة. أما الأصم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وأنا ما أسمع شيئاً، وأما الأحمق فيقول: رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفونني بالبعر، وأما الهَرِم فيقول: رب لقد جاء الإسلام وما أعقل، وأما الذي في الفترة فيقول: رب ما أتاني رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنّه، فيرسل إليهم رسولاً أن يدخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً»[1] وفي هذا المعنى وردت أحاديث يشد بعضها بعضاً.

---

(١) رواه أحمد والبزار.

القول فيمن هم أهل الفترة:

أهل الفترة: هم الأقوام الكائنون بين أزمنة الرسل الذين لم يُرسَل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني، كالأعراب الذين لم يرسل إليهم عيسى عليه الصلاة والسلام، ولا لحقوا النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم. ولكن الفقهاء إذا تكلموا على أهل الفترة فإنما يعنون التي بين رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم، وبين عيسى عليه الصلاة والسلام.

الحكم في أهل الفترة:

قال في عون المريد شرح جوهرة التوحيد: فالمذهب الحق أن أهلَ الفترة (وهم من كان في أزمنة الرسل، أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم) ناجون، وإن بَدَّلوا وغيروا أو عبدوا الأصنام في زمن الفترة، وهذا مبني على أصول الأشاعرة: أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً. لأن الواجبات كلها معلوم وجوبها بالشرع.

قال السيوطي: «لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة، علمنا أنهم ـ أي أهل الفترة ـ غيرُ معذبين».

وقال الماتريدية: من مات قبل مضي مدة يمكنه فيها التأمل ولم يعتقد إيماناً ولا كفراً فلا عقاب عليه، بخلاف ما إذا اعتقد كفراً أو مات بعد المدة لا يعتقد شيئاً.

وقد وافق البخاريون من الماتريدية الأشاعرة وحملوا قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه (لا عذر لأحد في الجهل بخالقه)

على ما بعد البعثة. وصرح النووي والفخر الرازي بأن من مات قبل البعثة مشركاً فهو في النار، وعليه حمل بعض المالكية ما صح من الأحاديث في تعذيب أهل الفترة بخلاف من لم يشرك منهم، ولم يوحد، بل بقي عمره في غفلة عن هذا كله، وبخلاف من اهتدى منهم بعقله، كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو، فلا خلاف في نجاتهم، فإن قساً كان إذا سئل: هل لهذا العالم إله؟ يقول: البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير...، وأما زيد فكان يسجد ويقول: إلهي إله إبراهيم، وديني دين إبراهيم، ويقول إني لأنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب، ولا أراني أدركه وأنا أؤمن به، وأصدقه، وأشهد أنه نبي، ومن طالت به مدة، ورآه مرة فليقرئه مني السلام).

وقد عاصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجتمع به وآمن به قبل بعثته بخمس سنين، ولم يدركها حيث مات وقريش تبني الكعبة، قالت أسماء ـ رضي الله عنها ـ: لقد رأيت زيداً بن عمرو ابن نفيل مسنداً ظهره إلى الكعبة، يقول: يا معشر قريش! والذي نفسي بيده، ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري.. وكان يقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم، ثم يسجد على راحلته، وكان ينكر على قريش الذبح لغير الله تعالىٰ، وصح أنه لم يأكل من ذبائح المشركين التي أُهِلَّ بها لغير الله. وعن سعيد بن زيد قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أبي كان كما رأيت، وكما بلغك، أفأستغفر له؟ قال: نعم، فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده».

وزعمتِ المعتزلة أن من كمل عقله، أو اعتقد الحق في العدل والتوحيد، فهو معذور في جهله بالرسل والشرائع، ومن زاغ عن اعتقاد الحق، فهو كافر مستحق الوعيد.

وقال البغدادي: فيمن لم تبلغه دعوة الإسلام ينظر فيه، فإن اعتقد الحق في العدل والتوحيد وجهل شرائع الأحكام والرسل فحكمه حكم المسلمين ومعذور فيما جهله، لأنه لم يقم به الحجة عليه.

ومن اعتقد الإلحاد والكفر فهو كافر بذلك الإعتقاد، وينظر فيه فإن كان قد انتهت إليه دعوة بعض الأنبياء، فلم يؤمن بها، فقد استحق الوعيد على التأبيد، وإن لم تبلغه شريعة بحال لم يكن مكلفاً، فإن أنعم الله عليه في الآخرة بالثواب، فهو فضل منه سبحانه، وليس بثواب له على الطاعة، كما أن إدخال ذراري المسلمين الجنة فضل منه، وليس على الطاعة، أما إن كان من لم تبلغه الدعوة غير معتقد كفراً، ولا توحيداً فليس بمؤمن ولا كافر، فإن شاء الله عذبه في الآخرة عدلاً، وإن شاء أنعم عليه فضلاً.

فإن قيل: كيف هذا مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبر بأن جماعة من أهل الفترة في النار، كامرىء القيس وحاتم الطائي، وبعض آباء الصحابة؟ فإن بعض الصحابة سأله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخطب فقال: (أين أبي؟ قال في النار). أجيب بأن أحاديثهم أحاديث آحاد وهي لا تعارض القطعي، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

وبأنه يجوز أن يكون تعذيب من صح تعذيبه منهم لأمر يختص به، يعلمه الله تعالىٰ ورسوله، ومنهم من قصر العذاب المذكور في الأحاديث على من بدل وغير الشرائع وأحدث من الضلال ما لا يعذر به.

فأهل الفترة ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من أدرك التوحيد ببصيرته، وهؤلاء منهم من لم يدخل في شريعة، كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو، ومنهم من دخل في شريعة حق قائمة، كتبع.

القسم الثاني: مَن بدَّل وغيَّر وأشرك، وشرّع لنفسه وحلل وحرم وهم الأكثر، كعمرو بن لحي، وهو أول من أحدث للعرب عبادة الأصنام، وشرّع الأحكام، فبحَّر البحيرة، وسيَّب السائبة، ووصل الوصيلة. وزادت طائفة على ذلك فعبدوا الجن والملائكة.

القسم الثالث: . . لم يشرك، ولم يوحد، ولا دخل في شريعة نبي ولا ابتكر شريعة، بل بقي في حالة غَفَل. وما ورد من أحاديث التعذيب فيحمل على الثاني، وأما القسم الثالث فأهل فترة ناجون، غير معذبين.

وغير سليم الحواس ليس بمكلف، ولهذا قال بعض أئمة الشافعية: (لو خلق الله إنساناً أعمى أصم لسقط عنه وجوب النظر والتكليف وهو صحيح كما في شرح المصنف)[1].

---

(١) عون المريد ١/ ١٥٢.

حكم أبوي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح، علمت أن أبويه صلى الله عليه وآله وسلم ناجون لكونهما من أهل الفترة، بل جميع آبائه صلى الله عليه وآله وسلم وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم، لم يدخلهم كفر، ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية بأدلة نقلية كقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء:٢١٩]. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لم أزل أُنقَل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات» وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التواتر. وقد ذهب العلماء إلى أنه لم يُبعث نبي قط أشرك بالله طرفة عين، ونص عليه الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالىٰ ـ وأن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، معصومون عن حقيقة الكفر، وعن حُكمِه بتبعية آبائهم وعلى هذا فلا بد من أن يكون تولد الأنبياء بين أبوين مسلمين أو يكون موتُهما قبل تولدهم، لكن الشق الثاني قلما يوجد في الآباء، ولا يمكن في الأمهات، ومن هنا بطل ما نسبه بعضهم من الكفر في أم سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام لأنه ـ حينئذ ـ يلزم نسبة الكفر بالتبع، وهو خلاف الإجماع.

والأحاديث المروية في أبويه صلى الله عليه وآله وسلم متعارضة، مروية آحاد، فلا تعويل عليها في الاعتقاديات. وما يَرِدُ من شأن آزر يُصرف إلى أنه لم يكن أباً لإبراهيم عليه السلام بل عمه، أما أبوه فتارح، لذا ينبغي اعتقاد أن آباءه صلى الله عليه وآله وسلم من

لدن آدم ـ عليه السلام ـ كلهم مؤمنون، ولا حاجة ـ على هذا ـ للتمسك بحديث إحياء أبويه صلى الله عليه وآله وسلم ليؤمنا به، ولا للقول بأنهما من أهل الفترة قال علي ـ رضي الله عنه ـ: «لم يزل على وجه الدهر في الأرض سبعة مسلمون فصاعداً فلولا ذلك هلكت الأرض ومن عليها»، ومثله لا يقال من قبل الرأي، فله حكم الرفع ويعضد التعليل بقوله: «فلولا ذلك. . .» ما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «. . . ولم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة، مصفى مهذباً، لا تنشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

قال قتادة: «ما زال لله في الأرض أولياء منذ هبط آدم، ما أخلى الله الأرض لإبليس إلاّ وفيها أولياء له يعملون لله بطاعته» وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «لا يزال لله تعالىٰ في الأرض ولي ما دام فيها للشيطان ولي» وعنه أيضاً: «ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الأرض».

وهذا له حكم الرفع أيضاً وهناك آثار كثيرة على هذا المنوال، حتى قال السيوطي: «فعرف من مجموع هذه الآثار أن أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: كانوا مؤمنين بيقين، من آدم ـ عليه السلام ـ إلى زمن نمرود. . . وقال أيضاً ـ وهو خاتم حفاظ مصر ـ: قد صرح جماعات كثيرة بأن أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تبلغهما الدعوة، والله تعالىٰ يقول: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾.

وحكم من لم تبلغه الدعوة أنه يموت ناجياً ولا يعذب ويدخل الجنة وهو مذهبنا لا خلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعية في الفقه، والأشاعرة في الأصول، ونص على ذلك الإمام الشافعي ـ رضي الله عنه ـ وتبعه على ذلك الأصحاب.

وأما ما نقل عن أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ في (الفقه الأكبر) من أن والدي المصطفى ماتا على الكفر، فمدسوس عليه، وحاشاه أن يقول ذلك. وقد غلط مُلَّا علي القارىء ـ غفر الله له ـ في كلمة شنيعة قالها. وإنما قلنا أنه مدسوس على أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ في كتابه (الفقه الأكبر) لأن العبارة في بعض النسخ: ووالدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماتا على الكفر وأبو طالب عمه مات كافراً. وهذا لا يستقيم لأنه لو أراد لَذَكَر الجميع بلفظ واحد، وإنما الحق أن هناك تصرف من الناسخ أو من النساخ في بعض النسخ حيث ظن أن الميم زائدة فأسقطها إذ الصحيح في العبارة: ووالدا رسول الله ما ماتا على الكفر، وأبو طالب عمه مات كافراً. فلما رأى الناسخ الميم ظنها زائدة فتصرف فيها وأسقطها[١]. ويدل على ذلك أن النسخ المعتمدة ليس فيها ذلك. لذا قال العلامة ابن حجر في الفتاوي نقلاً عن سداد الدين: وما نقل عن أبي حنيفة أنه قال في (الفقه الأكبر) أنهما ماتا على الكفر مردود، بأن النسخ المعتمدة من

---

(١) انظر مقدمة كتاب سداد الدين وسداد الدين ـ لسيد عباس أحمد صقر وحسين محمد شكري.

(الفقه الأكبر) ليس فيها شيء من ذلك، وبأن الموجود فيها ذلك لأبي حنيفة محمد بن يوسف البخاري لا لأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي. وإنما ذكرت ذلك ليتأمل المتأمل فيما يُنقَل. والله أعلم.

فالحق الذي نلقى الله عليه أن أبويه صلى الله عليه وآله وسلم ناجيان على أنه قيل: إن الله تعالىٰ أحياهما حتى آمنا به ثم أماتهما، وقد ورد الحديث في ذلك، وهو مروي عن عروة عن عائشة: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سأل ربه أن يحيي له أبويه فأحياهما فآمنا به ثم أماتهما».

وللسيوطي في هذه المسألة عشرة مؤلفات كلها تصب في وجوب الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن من آذاه فقد آذى الله تعالىٰ، وقد أورد حديث إحياء والديه صلى الله عليه وآله وسلم حتى آمنا به، وعلى ذلك جماعة من الحفاظ.

قال بعض المحققين: إنه لا ينبغي ذكر هذه المسألة إلا مع مزيد الأدب، وليست من المسائل الاعتقادية التي يضر جهلها. فحفظ اللسان فيها أولى وأسلم، خصوصاً فيما يتبادر منه النقصان، خاصة عند العامة. وقد سئل القاضي ابن العربي المالكي الفقيه المحدث، عن رجل قال إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النار. فقال: «إنه ملعون، لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه صلى الله عليه وآله وسلم إنه في النار». وقد أورد السهيلي

حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وفيه سأل الرسولَ صلى الله عليه وآله وسلم عن أبويه فقال: «ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما، وإني القائم يومئذ المقام المحمود». ثم قال: ففي هذا الحديث تلويح بأنه صلى الله عليه وآله وسلم يشفع فيهما في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان الذي يقع يوم القيامة كما ورد في عدة أحاديث.

وقال: والله على كل شيء قدير، وله أن يخص نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته.

وقال الطبري: والله تعالىٰ قادر على أن يحيي أبويه صلى الله عليه وآله وسلم حتى يؤمنا به ثم يموتا، ويكون ذلك مما أكرم الله تعالىٰ به سيدَ الأولين والآخِرين. والذي ينبغي أن يقال أن ما في الصحيح من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي» و«أن رجلًا قال يا رسول الله أين أبي؟ قال: في النار، فلما قَفَّىٰ دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار» وما رواه سعد بن أبي وقاص أن أعرابياً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أين أبي؟ قال: في النار، قال: فأين أبوك؟ قال: حيثما مررتَ بقبر كافر فبشره بالنار» ويجوز أن يكون ما في الصحيح حاصلًا قبل سؤال الله تعالىٰ أن يُحْيِيَهما له لأن الإحياء كان في حجة الوداع، وكون الإيمان عند المعاينة غير نافع فكيف بعد الموت، فذاك في غير الخصوصية التي أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، أو أنه قال ذلك لمصلحة إيمان ذلك السائل

بدليل أنه لم يتدارك صلى الله عليه وآله وسلم إلا بعد ما قَفَّىٰ: فأتى له بما هو شبيه بالمشاكلة مريداً بأبيه عمَّه أبا طالب، لا عبدَ الله.

وفي القرطبي (ليس إحياؤُهما وإيمانُهما به صلى الله عليه وآله وسلم بممتنع، لا عقلًا ولا شرعاً) فقد ورد في القرآن الكريم إحياء قتيل بني إسرائيل حتى أخبر بقاتله.

وقد أحيا الله سبحانه وتعالىٰ على يديه صلى الله عليه وآله وسلم جماعة من الموتى وإذا ثبت ذلك فما يمنع إيمان أبويه بعد إحيائهما؟ ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته، ولو لم يكن إيمانهما بعد الموت نافعاً لهما لما أُحْيِيا.

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزل الحجون [جبل بمكة وهي مقبرة] كئيباً حزيناً فأقام به ما شاء الله عز وجل ثم خرج مسروراً فقال: سألت ربي ـ عز وجل ـ فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها».

وما أحسن قول حافظ الشام ابن ناصر الدين:

حبا الله النبيَّ مزيدَ فَضلٍ ... على فضلٍ وكان به رؤوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمانٍ به، فضلًا لطيفا
فسلِّم فالقديم بذا قديرٌ ... وإن كان الحديث به ضعيفا

وحاصل الكلام في هذه المسألة أن العلامة ابن حجر الهيتمي قال عند شرحه لقول الإمام البوصيري:

لم تزل في ضمائر الكون تختا ... ر لك الأمهات والآباء

كما طابت ذاتك بما أوتيته من الكمال الأعلى كذلك طاب نسبك، فلم يكن في أمهاتك من لدن حواء إلى أمك آمنة ولا في آبائك من لدن آدم إلى أبيك عبد الله إلا من هو مصطفىٰ مختار. وشاهد ذلك حديث البخاري: «بعثت من خير قرون بني آدم، قرناً فقرناً. حتى كنت من القرن الذي كنت فيه»، وحديث مسلم: «إن الله اصطفىٰ كنانة من ولد إسماعيل، واصطفىٰ قريشاً من كنانة، واصطفىٰ من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»، وحديث الترمذي بسند حسن: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم ثم تخيّر القبائل فجعلني في خير قبيلة، ثم تخير البيوت وجعلني في خير بيوتهم، فأنا خيرهم نَفْسَاً ـ أي روحاً وذاتاً ـ وخيرهم بيتاً ـ أي أصلاً ـ».

وحديث الطبراني: «إن الله اختار الخلق، فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب ثم اختارني من العرب، فلم أزل خِياراً من خِيارٍ، ألا من أحبَّ العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم».

واعلم أن آدم وَلَد من حواء أربعين ولداً في عشرين بطناً إلا شيثاً وصيه، فإنه ولد منفرداً، كرامة لكون نبينا ﷺ من نسله، ثم لما توفي وصَّىٰ بنيه بوصية أبيه له أن لا يضع هذا النور أي الذي كان بجبهة آدم، ثم انتقل إلى شيث، إلا في المطهرات من النساء. ولم تزل هذه الوصية معمولاً بها في القرون إلى أن وصل ذلك النور لجبهة عبد المطلب ثم ولده عبد الله، وطهَّر الله تعالى هذا

النسب الشريف من سفاح الجاهلية كما ورد في الأحاديث، كحديث البيهقي في «سننه»: «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، ما ولدني إلا نكاح الإسلام». وسِفاحهم ـ بكسر السين ـ: زناهم كانت المرأة منهم تسافح الرجل منهم مدة ثم يتزوجها.

وروى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن السائب بن الكلبي عن أبيه قال: كتبت للنبي ﷺ مائة أم فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان في أمر الجاهلية.

والطبراني، وأبو نعيم وابن عساكر: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي لم يصبني من سفاح أهل الجاهلية شيء».

وأبو نعيم: «لم يلتق أبواي قط على سفاح، فلم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفّىً مهذَّباً، لا يتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما».

وابن مردويه: «قرأ رسول الله ﷺ: لقد جاءكم رسول من أنْفَسكم ـ أي بفتح الفاء ـ وقال: أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً، ليس في آبائي من لدن آدم سفاح، كلنا نكاح».

تنبيه...!!

لك أن تأخذ من كلام الناظم الذي علمت أن الأحاديث مصرحة لفظاً في أكثره، ومعنى في كله، أن آباء النبي ﷺ غير الأنبياء، وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأن الكافر لا يقال في حقه

أنه مختار، ولا كريم، ولا طاهر، بل نجس كما في آية ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، وقد صرحت الأحاديث السابقة بأنهم مختارون، وأن الآباء كرام، والأمهات طاهرات، وأيضاً فهم إلى إسماعيل كانوا من أهل الفترة، وهم في حكم المسلمين بنص الآية، وكذا من إبراهيم إلى آدم، وكذا بين كل رسولين، وأيضاً قال تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، على أحد التفاسير فيه أن المراد تنقل نوره من ساجد إلى ساجد، وحينئذٍ فهذا صريح في أن أبوي النبي ﷺ آمنة وعبد الله من أهل الجنة لأنهما أقرب المختارين له.

وهذا هو الحق، بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ، ولم يلتفتوا لمن طعن فيه، أن الله أحياهما له فآمنا به خصوصية لهما، وكرامة له ﷺ.

فقول ابن دحية يرده القرآن والإجماع، ليس في محله، لأن ذلك ممكن شرعاً وعقلاً، على جهة الكرامة والخصوصية، فلا يرده قرآن ولا إجماع، وكون الإيمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير الخصوصية والكرامة.

وقد صح أنه ﷺ رُدَّت عليه الشمس بعد مغيبها فعاد الوقت حتى صلى العصر أداء، كرامة له ﷺ، فكذا هنا.

وطعن بعضهم في صحة هذا بما لا يجدي أيضاً. وخبر أنه تعالى لم يأذن لنبيه ﷺ في الاستغفار لأمه، إما أنه كان قبل إحيائها له، وإيمانها به، أو أن المصلحة اقتضت تأخير الاستغفار لها في ذلك الوقت فلم يؤذن له فيه حينئذ.

فإن قلت: إذا أقررتم أنهما من أهل الفترة وأنهم لا يعذبون فما فائدة الإحياء؟

قلت: فائدته إتحافهما بكمال لم يحصل لأهل الفترة، لأن غاية أمرهم أنهم ألحقوا بالمسلمين في مجرد السلامة من العقاب، وأما مراتب الثواب العلية، فهم بمعزل عنها فأتحفا بمرتبة الإيمان زيادة في شرف كمالهما بحصول تلك المراتب لهما، وفي هذا مزيد ذكرته في «الفتاوى».

ولا يرد على الناظم آزر فإنه كافر مع أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز أنه أبو إبراهيم عليه السلام، وذلك أن أهل الكتابين أجمعوا على أنه لم يكن أباه حقيقة، إنما كان عمه، والعرب تمسي العم أباً، بل في القرآن ذلك قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ مع أنه عم يعقوب، بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تأويله بهذا جمعاً بين الأحاديث. واما من أخذ بظاهره كالبيضاوي وغيره، فقد تساهل واستروح.

وحديث مسلم: «قال رجل أين أبي يا رسول الله؟ قال: في النار! فلما ولّى دعاه فقال: إن أبي وأباك في النار» يتعين تأويله، وأظهر تأويل له عندي أنه أراد بأبيه عمه أبا طالب لما تقرر أن العرب تسمي العم أباً. وقرينة المجاز فيه الآية الآتية الشاهدة بخلافه على أصح محاملها عند أهل السنة، وأن عمه الذي كفله بعد جده عبد المطلب، أو أنه قصد بذلك أن يطيب خاطر ذلك الرجل خشية أن يرتد، لوقوع ذلك في سمعه أولاً، أن أباه في النار، بدليل أنه إنما قال له بعد أن ولّى، أو كان ذلك قبل أن ينزل عليه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، كما وقع له أنه سئل عن أطفال المشركين، فقال: هم مع آبائهم، ثم سئل عنهم فذكر أنهم في الجنة.

وأما قول النووي رحمه الله تعالى في حديث مسلم: إن من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الأوثان، فهو في النار، وليس في هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة، فإن هؤلاء قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره عليه الصلاة والسلام، انتهى. فبعيد جداً للاتفاق على أن إبراهيم ومن بعده لم يرسلوا للعرب، ورسالة إسماعيل إليهم انتهت بموته، إذ لم يعلم لغير نبينا ﷺ عموم بعثته بعد الموت، وقد يؤول كلامه بحمله على عباد الأوثان الذين ورد فيهم أنهم في النار. وبهذا يرد كلام الفخر الرازي القريب من كلام النووي.

ثم رأيت الأُبِّي شارح مسلم بالغ في الرد على النووي بأن كلامه متناف لحكمه بأنهم أهل فترة وبأن الدعوة بلغتهم، ومن بلغتهم الدعوة ليسوا أهل فترة، لأنهم الأمم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول، ولا أدركوا الثاني، ثم لما قال: إنه لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة علمنا أن أهل الفترة غير معذبين، انتهى. وهو موافق لما ذكرته.

وما أحسن قول بعض المتوقفين في هذه المسألة: الحذر، الحذر من ذكرهما بنقص، فإن ذلك قد يؤذيه ﷺ، لخبر الطبراني: «لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات» انتهى.

وأما الذين صح تعذيبهم مع كونهم من أهل الفترة، فلا يردون نقضاً على ما عليه الأشاعرة من أهل الكلام والأصول، والشافعية

من الفقهاء، أن أهل الفترة لا يعذبون، وسبب ذلك أننا عهدنا في الغلام الذي قتله الخضر، أنه حكم بكفره مع صباه لأمر يعلمه الله وحده، فكذا هؤلاء يحكم بكفرهم بخصوصهم وإن لم تبلغهم الدعوة، لأمر يعلمه الله ورسوله، فلا يرد هؤلاء نقضاً على ما استفيد من الآية، ومشى عليه أولئك الأئمة أن أهل الفترة لا يعذبون، وهذا الذي ذكرته في الجواب أولى من الجواب بأن أحاديثهم أخبار آحاد، فلا يُعارض القطع بأن أهل الفترة لا يعذبون أو بأن التعذيب المذكور في الأحاديث مقصور على من بدَّل أو غيَّر من أهل الفترة بما لا يعذر به كعبادة الأوثان، وتغيير الشرائع. وكأن قائل هذا ممن يرى وجوب الإيمان بالعقل، والذي عليه أكثر أهل السنة والجماعة أنه لا يجب توحيد ولا غيره إلا بعد إرسال الرسول إليهم، ومن المقرر أن العرب لم يرسل إليهم رسول بعد إسماعيل عليه السلام وأن إسماعيل انتهت رسالته بموته فلا فرق بين من غيَّر وبدَّل وغيره، ما عدا من صحَّ تعذيبه فيقصر ذلك عليه لأنه لا قياس في ذلك.

وقول أبي حيان إن الرافضة هم القائلون إن آباء النبي ﷺ مؤمنون غير معذبين مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾، فلك ردُّه بأن مثل أبي حيان إنما يرجع إليه في علم النحو وما يتعلق به، وأما المسائل الأصولية فهو عنها بمعزل.!، كيف.. والأشاعرة ومن ذكر معهم فيما مر آنفاً على أنهم مؤمنون، ونسبة ذلك للرافضة وحدهم مع أن هؤلاء الذين هم أئمة أهل السنة قائلون به قصور وأي قصور، وتساهل وأي تساهل. انتهى.

وقوله (**بوجوب المعرفة**) أي فيجب على كل مكلف من ذكر أو أنثى وجوباً عينياً معرفة كل عقيدة بدليل ولو إجمالياً.

وأما المعرفة بدليل تفصيلي ففرض كفاية. قال السعد في شرح المقاصد: الحق بأن المعرفة بدليل إجمالي يرفع الناظر من حضيض التقليد (لا مخرج عنه لأحد من المكلفين)، وبدليل تفصيلي يتمكن معه من إزاحة الشُّبَه، وإلزام المنكرين، وإرشاد المسترشدين، لا بُدَّ أن يقوم به البعض[1] وعليه فإن إيمان المقلد فيه ما فيه. وقد ذكروا فيه أقوالاً، وحاصل الخلاف فيه أقوال ستة[2]:

الأول: عدم الاكتفاء بالتقليد بمعنى عدم صحة التقليد فيكون المقلد كافراً وعليه السنوسي في الكبرى.

الثاني: الاكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقاً سواء كان فيه أهلية للنظر أم لا.

الثالث: الاكتفاء بالتقليد مع العصيان إن كان فيه أهلية للنظر وإلّا فلا عصيان.

الرابع: أن من قلّد القرآن والسنة القطعية صح إيمانه لاتباعه القطعي، ومن قلد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم.

---

(١) روح المعاني للألوسي ١٦/ ٦٤.

(٢) الباجوري على الجوهرة ٢٢.

الخامس: الاكتفاء به من غير عصيان مطلقاً لأن النظر شرط كمال فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر فقد ترك الأولى.

السادس: أن إيمان المقلد صحيح، ويحرم عليه النظر، وهو محمول على المخلوط بالفلسفة.

وما أحسن قول بعضهم:

عـاب الكـلامَ أنـاس لا خـلاق لهـم
وما عليـه إذا عـابـوه مـن ضـررِ
ماضر شمسَ الضحى في الأفق طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصرِ

والقول الحق الذي عليه المعوّل من هذه الأقوال [القول الثالث].

ومعنى المعرفة التي عناها الناظم بقوله: (بوجوب المعرفة) هي عند المناطِقة والنحويين أخص من مطلق العلم، لأنها تطلق على إدراك الجزئيات والبسائط، والعلم يطلق على المركبات والكليات والجزئيات والبسائط، وأما عند أهل السنة فهما مترادفان، ولكن لا يقال في الله عارف لإيهامها سبق الجهل.

والمراد بمعرفة الله معرفة صفاته - كما سيذكر ذلك الناظم - لا معرفة حقيقة ذاته. لذلك قيل:

ظننـتَ جهـلًا بـأن الله تـدركـه ثواقبُ الفكر أو تدريه إيقانا
أو العقـولُ أحـاطتـه بـديهتُهـا أو هل أقامت به لولاه برهانا

اللهُ أعظمُ قدراً أن يحيطَ به علمٌ وعقلٌ ورأيٌ جَلَّ سلطانا
هذا اعتقادي فإن قصَّرتُ في عملي فأسألُ إلٰهيَ توفيقاً وغفرانا

من أجل ذلك علق الناظم كما أسلفت المعرفة على معرفة الصفات فقال: **(من واجب لله عشرين صفة)** أي يجب وجوباً عينياً معرفة العشرين الصفة الواجبة لله تعالىٰ على التفصيل، مع اعتقاد أن لله تعالىٰ صفاتِ كمال لا تتناهى.

ثم اعلم أن مباحث هذا الفن ثلاثة:

الإلٰهيات: وهو ما يتعلق بالإله من واجب وجائز ومستحيل.

والواجب: ما لا يُتصور في العقل عدمه، ضرورةً كالتحيز للجِرْم، أو نظراً كوجوب القِدَم له تعالىٰ.

والمستحيل: ما لا يُتصور في العقل وجوده، ضرورة كتعري الجِرم عن الحركة والسكون أو نظراً كالشريك له تعالىٰ.

والجائز: ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه، ضرورة كالحركة أو السكون للجِرم أو نظراً كتعذيب المطيع وإثابة العاصي.

والنبوَّات: وهو ما يتعلق بالأنبياء مما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم.

والسمعيات: وهي ما دلّ عليها النقل فقط ولا مدخل للعقل فيها، كالحشر والنشر والصراط والجنة والنار.

* * *

الخامس: الاكتفاء به من غير عصيان مطلقاً لأن النظر شرط كمال فمن كان فيه أهلية النظر ولم ينظر فقد ترك الأولى.

السادس: أن إيمان المقلد صحيح، ويحرم عليه النظر، وهو محمول على المخلوط بالفلسفة.

وما أحسن قول بعضهم:

عـابَ الكـلامَ أنـاس لا خـلاق لهـم
وما عليـه إذا عـابـوه مـن ضـررِ
ماضر شمسَ الضحى في الأفق طالعة
أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصرِ

والقول الحق الذي عليه المعوّل من هذه الأقوال [القول الثالث].

ومعنى المعرفة التي عناها الناظم بقوله: (بوجوب المعرفة) هي عند المناطِقة والنحويين أخص من مطلق العلم، لأنها تطلق على إدراك الجزئيات والبسائط، والعلم يطلق على المركبات والكليات والجزئيات والبسائط، وأما عند أهل السنة فهما مترادفان، ولكن لا يقال في الله عارف لإيهامها سبق الجهل.

والمراد بمعرفة الله معرفة صفاته - كما سيذكر ذلك الناظم - لا معرفة حقيقة ذاته. لذلك قيل:

ظننتَ جهلاً بأن الله تـدركـه ثواقبُ الفكر أو تدريه إيقانا
أو العقـولُ أحـاطتـه بـديهتُهـا أو هل أقامت به لولاه برهانا

الله أعظـم قـدراً أن يحيـط بـه   علمٌ وعقلٌ ورأيٌ جَلَّ سلطانا
هذا اعتقادي فإن قصَّرتُ في عملي   فـأسْـألْ إلٰهـيَ تـوفيقـاً وغفـرانـا

من أجل ذلك علق الناظم كما أسلفت المعرفة على معرفة الصفات فقال: (**من واجب لله عشرين صفة**) أي يجب وجوباً عينياً معرفة العشرين الصفة الواجبة لله تعالىٰ على التفصيل، مع اعتقاد أن لله تعالىٰ صفاتِ كمال لا تتناهى.

ثم اعلم أن مباحث هذا الفن ثلاثة:

الإلـٰهيات: وهو ما يتعلق بالإله من واجب وجائز ومستحيل.

والواجب: ما لا يُتصور في العقل عدمه، ضرورةً كالتحيز للجِرْم، أو نظراً كوجوب القِدَم له تعالىٰ.

والمستحيل: ما لا يُتصور في العقل وجوده، ضرورة كتعري الجِرم عن الحركة والسكون أو نظراً كالشريك له تعالىٰ.

والجائز: ما يصح في نظر العقل وجوده وعدمه، ضرورة كالحركة أو السكون للجِرم أو نظراً كتعذيب المطيع وإثابة العاصي.

والنبوّات: وهو ما يتعلق بالأنبياء مما يجب لهم وما يستحيل عليهم وما يجوز في حقهم.

والسمعيات: وهي ما دلّ عليها النقل فقط ولا مدخل للعقل فيها، كالحشر والنشر والصراط والجنة والنار.

* * *

فالله موجودٌ قديمٌ باقي مخالفٌ للخلقِ بالإطلاقِ

فصل: في الصفات الواجبة لله تعالىٰ

وشَرَع الآن في الإلـٰهيات لتعلقها بالحق وما تعلق به مقدَّم على غيره.

وبدأ بالواجب منها لشرفه، وقدَّم الوجود لأنه كالأصل لمسائل الإلـٰهيات، وما عداه هنا كالفرع، إذ الحكم بوجوب الواجبات لله تعالىٰ، واستحالة المستحيلات، وجواز ما يجوز في حقه تعالىٰ، لا يتعقل إلا بعد الحكم بوجوب وجوده.

وقبل أن نتكلم عن الوجود لا بد أن نبين أنه يجب أن نُثبِت لله تعالىٰ على الإجمال كُلَّ كمال، وأن يُنَزَّه عن كل نقصان. ويجوز في حقه فعلُ كُلِّ ممكن وتركه. وعلى التفصيل يجب لله تعالىٰ عشرون صفة قسَّمها العلماء إلى أربعة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعان، ومعنوية.

النفسية: صفة واحدة هي الوجود.

والسلبية: خمس وهي: القِدَم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والوحدانية. وهذه تَسلب ما لا يليق في حقه تعالىٰ، أو تسلب عن الأذهان أضدادَها. فالقِدَم مثلًا: عبارة عن سلب العدم السابق على الوجود، ومعناه عدم الأولية أو عدم افتتاح الوجود فهي صفات سالبة لما لا يليق، ومدلولها عَدَمي، إذ المراد بالبقاء عدم

الآخرية. وبالمخالفة للحوادث عدم المماثلة. وبالقيام بالنفس عدم الاحتياج إلى المحل والمخصص. وبالوحدانية عدم التعدد..

وصفات المعاني سبع هي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

والمعنوية: وهي عبارة عن قيام صفات المعاني بالذات، سبع وهي: كونه تعالىٰ قديراً وكونه مريداً وكونه عليماً وكونه حَيّاً وكونه سميعاً وكونه بصيراً وكونه متكلماً.

والمعاني والمعنوية صفات ثبوتية تدل على معنى زائد على الذات وهو معنى وجودي في المعاني وثبوتي في المعنوية.

فإذا أردت معرفة ما يجب له تعالىٰ (فـ) أقول:

(الله موجود) والوجود: صفة نفسية كما تقدم والمراد بها صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها. واختُلف في الوجود، هل هو عين الموجود أو غيره؟ والحق أن الوجود عين الموجود. والدليل على كونه واجب الوجود أن تقول: الله مفتقر إليه العالَمُ وكل ما افتَقَر إليه العالم فهو واجب الوجود، لأنه لو كان جائز الوجود لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لافتقر إلى مُحْدِث، ولو افتقر إلى مُحدِث لافتقر مُحدِثه إلى مُحدِث.

فيلزم إما الدور أو التسلسل، وما أدىٰ إلى الدور باطل، لأنه يلزم عليه تقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها، وهو تناقض، وهو

محال. وكذا ما أدى إلى التسلسل، لأنه يلزم عليه وجود حوادث لا أول لها، وهو باطل للتناقض.

ومعنى قولنا: أنه واجب الوجود، أي أنه لا يَقبل العدمَ أزلاً ولا أبداً، وأن وجودَه ذاتيٌّ، أي لا لعلة أثرت في وجوده، بخلاف وجودنا فإنه غير ذاتي فهو بفعله تعالىٰ.

(قديم): وهذا شروع في الصفات السلبية، وهي الصفات التي دلت على سَلب ما لا يليق بالله تعالىٰ، وتسلب عن الأذهان أضدادها، كالقِدم: يدل على سلب العدم السابق على الوجود، كما تقدم. وهي صفات غير منحصرة على الصحيح، وإنما عَدَّ خمسة منها لأن ما عداها من نفي الولد والصاحبة والمعين وغير ذلك مما لا نهاية له راجع إليها، ولو بالالتزام، فهي أمهاتها أي أصولها المهمات منها. ولأن الشارع الحكيم لم يكلفنا تفصيلاً إلاّ بها.

والمراد بالقدم في حقه تعالىٰ: القِدم الذاتي وهو عدم افتتاح الوجود أو عدم الأولية للوجود. ويطلق القدم في حق المخلوقات، ويراد به القدم الزمني الذي ينشئه طول المدة، إذ القديم من المخلوقات ما توالت على وجوده الأزمنة وضبط بسنة وكذلك القدم الإضافي كقدم الأب بالنسبة للإبن فعلى هذا يكون القدم على ثلاثة أقسام:

ذاتي: ولا يكون إلاّ لله تعالىٰ.

وزماني ومكاني: وهما مَحالان على الله تعالىٰ، لأنه لا يوصف بهما إلّا الحادث.

قال الزبيدي:[1] القديمُ صفةُ ذاتٍ. وقد أجمعت الأمة على وصفه تعالى به، ولم يرد في القرآن ولا أثر صحيح إلاّ في بعض الأدعية المأثورة، مثل: يا قديم الإحسان، لكنه دل عليه القرآن بقوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج:٤١]. وقد استدل لصفة القدم بدليل عقلي، وهو أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لافتقر إلى مُحْدِث ولو افتقر إلى محدث لافتقر محدثه إلى محدث، وهكذا فيلزم الدور أو التسلسل، وتقدم بطلانهما.

(باقي): أي ومما يجب لله تعالىٰ من الصفات السلبية البقاء، ومعناه في حقه تعالىٰ: عدم الآخرية أو عدم اختتام الوجود. فالباقي هو الذي لا آخر لوجوده أو الذي لا اختتام لوجوده. فإن قال قائل إن وجوب الوجود يغني عن القدم والبقاء والمخالفة للحوادث!!

قلنا: إنه وإن كان يغني لكنه بالمعنى الإلتزامي، وعلماء هذا الفن لا يكتفون بدلالة الالتزام لزيادة الإيضاح ولخطر الجهل بعلم التوحيد.

والدليل على ثبوت البقاء: أنه لو جاز عليه طُروُّ العدم لاستحال عليه القدم لأن من جاز عدمه استحال قدمه.

---

(١) شرح إحياء علوم الدين للزبيدي ١/ ٣١.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمٰن: ٢٦-٢٧].

(مخالف للخلق): أي أن صفة المخالفة للخلق صفة سلبية أيضاً يجب اعتقادها لله تعالىٰ في ذاته وصفاته، مخالف للخلق، وهو عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالىٰ.

(بالإطلاق): أي من غير تقييد ببعض الوجوه، فهو مخالف للخلق في جميع الوجوه، فليس سبحانه وتعالىٰ مخالفاً للخلق من جهة ومماثلًا من جهة أخرى، وقد قام الدليل النقلي والعقلي على نفي مخالفته للحوادث. ففي عقيدة المخالفة للحوادث قال تعالىٰ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي لم يكن أحد ما مِثْلًا لله تعالىٰ، وفيه نفي المكافىء والمماثل والمشابه لله تعالىٰ ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً. وقد قُدِّم الجار والمجرور (له) وحقه التأخير، للأهمية ولإفادة الحصر. وروى أبو العالية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر آلهة المشركين فقالوا: انسُبْ لنا رَبَّك، قال: فأتاه جبريل عليه السلام بهذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[1] وفيها نفي التشبيه والعدل والمماثلة وقال تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ

---

(١) انظر القرطبي ج٢٠/٢٤٦.

لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

والفاطر: هو الخالق على غير مثال سابق.

والذرء: الإظهار والنشر والخلق والتكثير.

وقوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ تنزيه يرد على المجسِّمة، وآخرها إثبات يرد على المعطِّلة النافين للصفات.

وبدأ بالتنزيه ليستفاد منه نفي التشبيه له مطلقاً حتى فيما أثبت بعد من صفات السمع والبصر، وقد أطلق أهل ملة الإسلام جميعاً القول بأنه سبحانه لا يشبه شيئاً من العالم.

وأما الدليل العقلي فنقول: لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلًا لها ولو كان مماثلًا لها لكان حادثاً كيف وقد ثبت قدمه بالدليل السابق.

* * *

(وقائم) بنفسه (غني) عن غيره، فإن الغير مفتقر إليه. وهو سبحانه وتعالىٰ غني عنه. أي ومما يجب له تعالى: قيامه بنفسه. وهي من الصفات السلبية. والمراد (بالنفس) الذات [لأن الصحيح جواز إطلاق النفس على ذات الله تعالىٰ باعتبار مأخذه من (النفيس) لأنه سبحانه أنفسُ الأشياء وأعزها][1].

قال تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران:٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] وأخبر أن المسيح يقول يوم القيامة: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦].

أما النفس باعتبار مأخذه من (النفس) فلا يصح إطلاقه على الله تعالىٰ.

ومعنى قيامه بنفسه: عدم افتقاره تعالىٰ إلى المحل، أي الذات التي يقوم بها لا بمعنى المكان، لأن ذلك عُلِمَ من المخالفة للحوادث، وعدم افتقاره تعالىٰ للمخصِّص أي الموجد.

والدليل على استغنائه عن المحل أن تقول لو احتاج إلى محل لكان صفة، ولو كان صفة لم يكن متصفاً بصفات المعاني والمعنوية. والفرض أنه متصف بها وإلاّ لما وجد العالم، فبطل كونه صفة وثبت كونه ذاتاً.

---

(١) عون المريد ١/ ٣٠٩.

والدليل على استغنائه عن المخصِّص أن تقول: لو احتاج إلى مخصص لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث.

تنبيه: يعلم مما تقدم أن ذاته سبحانه وتعالىٰ مستغنية عن المحل والمخصص.

وأما صفاته فمستغنية عن المخصص وقائمة بذاته سبحانه وتعالىٰ، ولا يعبر عنها بالافتقار إلى الذات لما فيه من الإيهام وإساءة الأدب. وذوات الحوادث مفتقرة إلى المخصص، وصفاتها مفتقرة إلى الذات والمخصص معاً، فمن هنا يعلم أن فقر المخلوقات ذاتي.

(واحد): في ذاته وصفاته وأفعاله. والوحدانية صفة تجب له تعالىٰ، وهي الخامسة من الصفات السلبية وهي أهم الصفات، ولذا يسمى علم التوحيد بها، ولعظم العناية به كثر التنبيه والثناء عليه في القرآن الكريم كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

والمراد بالوحدانية كما أسلفت، وحدة الذات والصفات بمعنى عدم النظير فيهما.

وأما وحدة الذات بمعنى عدم التركيب من أجزاء فسبقت في المخالفة للحوادث. ووحدة الصفات بمعنى عدم تعددها من جنس واحد كقدرتين فأكثر وهكذا. ووحدة الأفعال أيضاً بمعنى أنه لا تأثير لغيره في فعل من الأفعال.

وليعلم أنه لم يكفر بالوحدانية إلاّ بعض الإنس وأما الجن فلا يعتقدون الشرك بالله سبحانه وتعالىٰ وإنما الكفر منهم بغير الشرك. وقد نفت هذه الصفة كموماً خمسة، وقبل أن نذكرها نعرِّف الكمَّ فنقول: هو عرض (أي ما يقوم بغيره) من خصائصه أنه يقبل التقدير والتجزئة. والكم ينقسم إلى قسمين: الكم المتصل، والمنفصل.

والكم المتصل: هو ما كان بين أجزائه حد مشترك وذلك كالخيط فإن بين أجزائه حداً مشتركاً فهو نهاية لجزء وبداية لجزء.

أما الكم المنفصل: وهو ما لم يكن بين أجزائه حد مشترك كالورد، وذلك كالعشرة فإننا إن أشرنا منها إلى السادس مثلاً انتهى إليه الستة. وابتداء الأربعة الباقية من السابع لا من السادس فلم يكن ثمة بينهما حد مشترك(١).

والكموم الخمسة التي تنفيها الوحدانية هي أن وحدة الذات تنفي الكم المتصل في الذات، وهو تركبها من أجزاء. والكم المنفصل فيها وهو تعدد الذات حيث يكون مع الله إله ثان فهو سبحانه من حيث الذات أحدي فلا تركيب، وواحدي فلا تعدد. ووحدة الصفات تنفي كَمَّين كذلك متصلاً ومنفصلاً.

والكم المنفي المتصل: هو التعداد في صفات الله تعالىٰ من جنس واحد، كأن يكون لله تعالىٰ قدرتان فأكثر، أو إرادتان فأكثر، أو حياتان فأكثر. والكم المنفصل المنفي ينفي أن يكون لغير الله

---

(١) هداية المريد نقلاً من حاشيته ص٣١.

تعالىٰ صفة تشبه صفة الله تعالىٰ، كأن يكون لمخلوق قدرة تشبه قدرة الله، أو علم يشبه علم الله، أو إرادة تشبه إرادة الله تعالىٰ.

ووحدة الأفعال تنفي الكم المنفصل فقط، وهو أن يكون لغير الله تعالىٰ فعل من الأفعال على وجه الخلق والإيجاد، فلا خالق إلاّ الله تعالىٰ، وحيث يُنسَب فعل لغير الله، ينسب على جهة الكسب والاختيار. وبهذا يُرَدُّ على المعتزلة الذين قالوا: بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، ولم يكفروا بهذا القول لاعترافهم بأن إقدار العبد على خلق الفعل من الله تعالىٰ، وبعضهم كفَّرهم ولكن الراجح عدم كفرهم، لكنهم قطعاً مبتدعة، كما قاله الباجوري.

وأما الكم المتصل في الأفعال، فإن فُسِّر (بتعدد الأفعال) فهو ثابت لله تعالىٰ لا يصح نفيه، لأن ما في الكون من خلق ورزق وإحياء وإماتة وغير ذلك لا يكاد يُحصىٰ، وإن فُسِّر الكم المتصل بمشاركة غير الله تعالىٰ في فعل من الأفعال فهو لا شك منفيٌ بوحدة الأفعال. وأما دليل ثبوت الوحدانية فعقلًا ونقلًا. أما بالنقل فآيات كثيرة منها قوله تعالىٰ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣] وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:٦]. وقوله تعالىٰ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]. وأما دليلها من العقل فقد علّمنا الله كيفيته بقوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢]. وقوله تعالىٰ: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا

بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]. وتقدير ذلك البرهان، ويسمّى برهان التمانع والتطارد، في فرض اختلافهما، وبرهان التوارد في فرض اتفاقهما، أن تقول: لو وجد فردان متصفان بصفات الألوهية تقديراً، وأرادا معاً إيجاد شيء، فإما أن يحصل بإرادتهما معاً وذلك باطل، لأنه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد، أو بإرادة أحدهما وذلك باطل لأنه يلزم عليه عجز الآخر، ويلزم عجز الأول أيضاً لوجود المماثلة أيضاً بينهما. وتقرير برهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما أن تقول: لو اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد شيء والآخر إعدامه، فإما أن يتم مرادهما معاً وهو باطل للزوم اجتماع الضدين، أو لا يتم مرادهما معاً وهو باطل أيضاً للزوم عجزهما معاً، أو يتم مراد أحدهما دون الآخر وهو باطل أيضاً للزوم عجز من لم يتم مراده وعجز من تمَّ مراده أيضاً، لوجود المماثلة بينهما، فبطل التعدد وثبتت الوحدانية والحق أن آيةَ ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ..﴾ حجةٌ قطعية لا دليل إقناعي كما قيل.

تنبيه: (إلاَّ) في قوله تعالىٰ: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ..﴾ بمعنى: غير، أي لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجد، لأن المقصود هو نفي الألوهية عن كل ما سوى الله تعالىٰ، ولا يجوز جعلها هنا استثناء، لأن المعنى على الاستثناء يصح لو كان فيهما آلهة مستثنى منهم الله لفسدتا. أما لو كان فيهما آلهة والله معهم لم تفسدا وهذا هو الشرك بعينه. ولمّا تكلم الناظم على الصفة النفسية والصفات السلبية، شرع يتكلم على الصفات المعنوية مقدماً لها على صفات المعاني للإتفاق عليها ولأنها دلائل على صفات المعاني.

وبين المعاني والمعنوية عند أهل السنة تلازم، إذ المعنوية عبارة عن كل حال تثبت للذات معللة بمعنى قائم بالذات. والمعاني كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً. والفرق بين المعاني والمعنوية هو أن المعاني صفات وجودية. والمعنوية ثبوتية اعتبارية، والثبوت قريب من الوجود فهي صفات ثابتة للذات لا من حيث أنها قائمة بها كالمعاني، بل من حيث أنها عبارة عن قيام المعاني بالذات، وهذا هو المعتمد. (وليعلم أن الصفات المعنوية السبع واجبة له تعالى إجماعاً على مذهب أهل السنة والجماعة والمعتزلة وعلى القول بثبوت الأحوال وعلى القول بنفيها). لذا يلزم من نفي الصفات المعنوية الكفرُ إن أثبت ضدها، كمن نفى كونه عالماً وأثبت ضده وهو كونه جاهلاً. أما من لم يثبت ضدها، بمعنى أنه ينفي أن يكون لله صفة قديمة يقال لها كونه عالماً، وهو مثبت لانكشاف الأشياء له تعالىٰ بذاته أزلاً، فلا ضرر في ذلك لأن الحق نَفْيُ صفات الأحوال، وأما صفات المعاني فنفي زيادتها على الذات مع إثبات أحكامها لله موجب للفسق فقط، أما نفيها مع إثبات أضدادها فكفر.

وقد نفت المعتزلة الصفاتِ الزائدةَ على الذات، وأسندت ثمرات الصفات إلى الذات ونفوا نفس المعاني وقالوا: (إن الباري تعالىٰ حي عالم قادر دون صفات الحياة والعلم والقدرة فأثبتوا المشتق دون المشتق منه، ويلزمهم أن تكون ذاته علماً وقدرة وحياة لثبوت خصائص هذه الصفات لها، وثبوت الأخص يستلزم ثبوت الأعم، فيلزم أن تكون ذاته علماً وقدرة وحياة، وهذه الصفات لا تقوم

بنفسها، والذات قائمة بنفسها)[١]. والحاصل أن المعتزلة يقولون أنه تعالىٰ حي بذاته، قادر بذاته، عالم بذاته. . . الخ. وأوردوا على أهل السنة شبهتهم بقولهم: إن النصارى كفروا بزيادة إلٰهين فالقائل بهذه الصفات أي صفات المعاني أو الذات ـ لأن المعاني تسمى بصفات الذات ـ معرضون للكفر لإثبات قدماء ثمانية [والجواب عن هذه الشبهة، أن المبطل للتوحيد إنما هو تعدد القدماء المتغيرة المنفكة، وصفات الذات ليست كذلك فهي ليست غير الذات ولا منفكة، وصفات الذات ليست عين الذات، كالواحد من العشرة، لأنا لو قلنا: [هي هو] لأدى إلى أن يكونا إلٰهين. ولو قلنا غيره لكانت محدثة، فيكون محلًا للحوادث، وهو محال. فمذهب أهل السنة أن صفات الذات زائدة عليها، قائمة بها، لازمة لها لزوماً لا يقبل الانفصال، فهي دائمة الوجود مستحيلة العدم. وما نفى المعتزلة الصفات إلّا هروباً من تعدد القدماء. ونحن نقول: القديم لذاته واحد وهو الذات المقدسة، وهذه صفات وجبت للذات لا بالذات، والتعدد لا يكون في القديم لذاته][٢].

❋ ❋ ❋

---

(١) عون المريد بتصرف يسير جداً ١/٤٠٦.

(٢) هداية المريد للشيخ بكري رجب ص٤٣.

(و) حيث قلنا أنه عند أهل السنة يوجد تلازم بين المعنوية والمعاني، إذ المعنوية عبارة عن كل حال تثبت للذات معللة بمعنى قائم بالذات، والمعاني كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً. فمن حيث أننا سنوجب له صفة الحياة وهي من صفات المعاني فهو سبحانه (حي) كما عُلِم من الدين ضرورةً وثبت من أدلة الكتاب والسنة ثبوتاً لا يمكن إنكاره ولا تأويله، وعلى هذا فكونه تعالىٰ حياً عبارة عن قيام صفة الحياة بالذات. قال تعالىٰ: ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦٤ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [غافر: ٦٤-٦٥] وقال: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨] وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرقاً أصابني فقال قل: اللهم غارت النجوم، وهدأت العيون، وأنت حي قيوم لا تأخذك سنة ولا نوم، يا حي يا قيوم أهدي ليلي وأنم عيني». فقلتها فأذهب الله عني ما أجد[١].

وحيث أننا سنوجب له تعالىٰ القدرة فهو (قادر) أي كونه قادراً وهو الذي إذا شاء فعل وإذا شاء ترك، المتمكن من الفعل والترك، لأنه سبحانه وتعالىٰ له القدرة الكاملة على الفعل والترك، على

---

(١) مجمع الزوائد.

حَسَب ما خصصته الإرادة أزلاً على وفق العلم الكاشف قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]. وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ٢٥٥].

وكما أننا سنوجب له تعالىٰ أيضاً الإرادة فهو (مريد) أي كونه مريداً: وهو الذي تتوجه إرادته إلى المعدوم فتُخَصِّصه بالوجود بدلاً عن العدم، مثلاً. قال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦] فكل الحوادث الواقعة واقعة بمشيئته، إذ كل حادث مقدور، وكل مقدور مراد وهذا معتقد أهل السنة.

[فرع](١) وأما مَن قَصَرَ الإرادة على بعض المقدورات، فهم كما قال الأوزاعي في مناظـرته لأحدهم: لم يرضوا بقول الله تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ القلم: ٥٠] ولا بقول الأنبياء، ولا بقول الملائكة ولا بقول أهل الجنة، ولا بقول أخيهم إبليس. أما قول الملائكة فـ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]. وأما قول الأنبياء عليهم السلام فقال شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [هود: ٨٨]. وقال إبراهيم: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧] وقال نوح: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ﴾ [هود: ٣٤] وأما قول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا

---

(١) عون المريد على جوهرة التوحيد ١/ ٤٠٢-٤٠٣.

ٱللَّهُۖ﴾ [الأعراف: ٤٣] وأما إبليس فقال: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحجر: ٣٩].

وبما أننا سنثبت له صفة العلم فهو (عالم) أي كونه عالماً وهو الذي أحاط وشمل علمُه (بكل شيء) قلَّ أو كثُر، دقَّ أو عَظُم سواء كان واجباً أو جائزاً أو مستحيلاً. قال تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢].

وقال: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤] وقال: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ [الأنعام: ٨٠].

* * *

وسيأتي أيضاً أننا سنوجب له السمع، فهو (سميع) أي كونه سميعاً. والسميع الذي يسمع كُلَّ موجود قال تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وقال لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وكذلك سنوجب له البصر، فهو (البصير) أي كونه بصيراً، وهو الذي يبصر الأشياء كلها فالله تعالىٰ يحيط بالمسموعات والمُبصَرات قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]. (و) بما أننا سوف نثبت له الكلام فهو (المتكلم) أي كونه متكلماً أزلاً وأبداً، لأن الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال وضده من أوصاف النقص. ولو لم يكن صانع العالم متكلماً للزم النقص وهو محال. ووجه الملازمة أن صانع العالم حي، وكل حي فهو إما متكلم أو غير متكلم بسبب آفة. والآفة نقص، فتبين عند ذلك أن يكون متكلماً وهو المطلوب. ألم تر أن الله تعالىٰ جعل من صفات النقص في العِجْل الذي اتخذوه إلـٰهاً أنه لا يتكلم فقال معرضاً: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وقال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩]، وقد وصف الله نفسه بكونه متكلماً في مواضع كثيرة من آياته كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وكلامه تعالىٰ صفة ثابتة له تعالى لا تشبه كلام غيره، كما أن

وجودَه لا يشبه وجودَ غيره، وصفاتِهِ لا تشبه صفاتِ غيره، ومَن ظنَّ المشابهةَ فقد دخل في باب من أبواب الشرك.

ولذلك قال الناظم (**له صفات سبعة تنتظم**) وهي صفات المعاني، تنتظم في بيت واحد كما تنتظم حبات السبحة في الخيط.

وقدم الناظم المعنوية عليها كما أسلفنا. وهذا أوان الشروع في صفات المعاني. والمعاني جمع معنى وهو لغة: ما قابل الذات فيشمل النفسية والسلبية.

واصطلاحاً: كل صفة قائمة بموصوف، موجبة له حكماً، ككونه قادراً فإنه لازم للقدرة. وفي الحقيقة المعاني والمعنوية متلازمان كما أسلفتُ.

* * *

(فـ) إذا أردت معرفتها ـ والفاء هنا هي الفصيحة ـ فأقول لك (قدرة) أي وواجب له قدرة، وقدَّمها الناظم على غيرها من صفات المعاني لظهور تأثيرها.

وهي لغةً: القوة والاستطاعة.

وعرفاً: صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ، زائدة عليها، يتأتى بها إيجادُ كُلِّ ممكن وإعدامه على وفق الإرادة، وهذا التعريف للقدرة وغيرها من الصفات، ليس حداً حقيقياً، وإنما هو رسم، لأنه لا يعلم كُنَه ذاته وصفاته إلاّ هو. ومعنى قولنا: على وفق الإرادة، أن ما خصصه الله بإرادته، أبرزه بقدرته. فتعلُّق الإرادة لكونه أزلياً، سابقٌ على تعلق القدرة لكونه تنجيزياً حادثاً، فالترتيب بين التعلقين لا بين الصفتين، لأن التقديم لا ترتيب فيه وإلاّ كان المتأخر حادثاً. ودليل وجوب القدرة من النقل آيات كثيرة، منها قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:١٠٦]. وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان:٥٣-٥٤]. ومن السنة ما جاء في دعاء الإستخارة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع

ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم»[1].

وأما الدليل العقلي عليها أن تقول: الله تعالىٰ صانع قديم، له مصنوع حادث، وكل من كان كذلك تجب له القدرة.

تنبيه:[2] القدرة لها سبعة مطالب، وهي: نشهد ونعتقد أن قدرة الله موجودة، وقديمة، وباقية، ومخالفة لقدرتنا الحادثة، وغنية عن المخصِّص، وواحدة، وعامة التعلق بجميع الممكنات. ويظهر من قولنا أنها متعلقة بجميع الممكنات، عدم تعلقها بالواجبات والمستحيلات، وهو كذلك، لأنها إن تعلقت بالواجب فإما لتوجده وهو موجود، وإما لتُعدِمه وهو لا يقبل العدم بحال.

ولأنها إن تعلقت بالمستحيل فإما لتوجده وهو لا يقبل الوجود بحال، أو لتعدمه وهو معدوم أصلاً. وعدم تعلقها بالواجب والمستحيل لأنهما خارجان عن وظيفتها، وهي الإيجاد والإعدام لا لعجز فيها، إذ أن العجز إنما يكون إذا كان المتعلق من وظائف القدرة، بأن كان يقبل الوجود لذاته أو العدم لذاته. أفرأيت إلى العين ووظيفتها الإبصار أفيُعَدُّ نقصاً فيها إن لم تسمع الأصوات. ولله المثل الأعلى.

---

(١) رواه البخاري في باب قوله تعالى (وهو القادر)، النسائي، أبو داود، ابن ماجة، البيهقي، ابن حبان.

(٢) نور الظلام شرح عقيدة العوام ص٤٣.

(إرادة) أي وواجب له إرادة ويرادفها المشيئة وهي الصفة الثانية من صفات المعاني وهي لغةً: مطلق القصد.

وعرفاً: صفة قديمة زائدة على الذات قائمة بها، تخصِّص الممكن ببعض ما يجوز عليه. فلا تتعلق الإرادة بالواجب والمستحيل، كالقدرة، وشمل الممكن الخير والشر، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن إرادة الله لا تتعلق بالشرور والقبائح.

وحكي أن القاضي عبد الجبار الهمداني ـ أحد رؤوس المعتزلة ـ دخل على الصاحب بن عبّاد وعنده الأستاذ أبو إسحٰق الشيرازي أحد أئمة أهل السنة والجماعة، فبدأ القاضي عبد الجبار مناظرته للأستاذ أبي إسحٰق بقوله: سبحان من تنزه عن الفحشاء (يريد نفي تعلق إرادة الله بالشرور والقبائح).

فقال له الأستاذ: سبحان من لا يجري في ملكه إلاّ ما يشاء (أي إلاّ ما يريد، إذ المشيئة مرادفة للإرادة وهي متعلقة بالممكنات والتي شملت الخير والشر).

فقال عبد الجبار: أفيريد ربنا أن يُعصىٰ؟ فقال الأستاذ: أفيُعصىٰ ربنا كُرْهاً؟ فقال عبد الجبار: أفرأيت إن منعني الهدى، وقضى عليّ بالردى، أحسن إليّ أم أساء. فقال الأستاذ: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء.

ويقرب من هذا ما ذكره العلماء: أن إبليس تمثل للإمام الشافعي فقال له: ما قولك فيمن خلقني كما ٱختار، واستعملني

فيما أختار، وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار، أَعَدَلَ في ذلك أم جار؟ فنظر الإمام في كلامه، ثم قال: يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك، وإن كان خلقك لما يريد هو فهو (لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون). فاضمحل اللعين عند ذلك إلى أن صار لا شيء. ثم قال: والله يا شافعي، لقد أخرجت بمسألتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة.

مسألة: هل يجوز نسبة القبيح إلى الله تعالىٰ؟

اختلف العلماء في جواز نسبة الشرور والقبائح إليه تعالى، والراجح جواز ذلك في مقام التعليم لا في غيره. وهذا الخلاف جار في نسبة الأمور الخسيسة إليه تعالىٰ. والأصح الجواز في مقام التعليم لا في غيره، فلا يجوز أن يقال: الله خالق القردة والخنازير ونحوه، إلاّ في مقام التعليم فقط.

ومن الأدب الجم ما قاله بعضهم في هذا الشأن حيث قال: من سأَلَنا عن الشرور! قلنا: إن الله تعالىٰ أراد حدوث جميع الحوادث وهذه منها. ولا نقول أدباً: إنه عز وجل أراد الشرور. وقد اتصف الجن بهذا النوع من الأدب، حيث قالوا بعدما لمسوا السماء فوجدوها قد ملئت حرساً شديداً وشهباً ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فلما ذكروا (الشر) بنوا الفعل للمجهول تحاشياً من أن يقولوا أشرّاً أراد بمن في الأرض. وحين ذكروا الرشد بنوا الفعل للمعلوم وقالوا: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾. وكذلك

العبد الصالح الخضر عليه السلام حين ذكر السفينة المخروقة قال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وعن الغلامين اليتيمين، قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] وقد قال في جميع ما بدر منه في رحلته ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: ٨٢].

والدليل على وجوب الإرادة له تعالىٰ أن تقول: الله صانعٌ للعالَم بالاختيار، وكل من كان كذلك تجب له الإرادة. فالله تجب له الإرادة. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] وقال أيضاً: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً﴾ [الإسراء: ١٦] وقال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] وقال أيضاً: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

تنبيه:[١] والإرادة لها سبعة مطالب، وهي، نشهد ونعتقد أن إرادة الله.. موجودة، وقديمة، وباقية، ومخالفة لإرادتنا الحادثة، وغنية عن المخصِّص، وواحدة، وعامة التعلق بجميع الممكنات.

تنبيه: الإرادة مغايرة للأمر والعلم والرضا[٢]. فالإرادة مغايرة للأمر أي ليست عينه ولا مستلزمة له. كيف وقد (يريد ويأمر) فتلتقي الإرادة والأمر، مثل إيمان من علم الله منهم الإيمان.

---

(١) نور الظلام شرح عقيدة العوام ص٤٢.

(٢) عون المريد ج١/ ٣٥١.

فإنه أراده منهم وأمرهم به. وقد (لا يريد ولا يأمر) مثل كفر من علم الله منهم الإيمان، فإن الكفر ما أراده منهم ولا أمرهم به. وقد (يريد و لا يأمر) ككفر من علم الله أنهم يكفرون، وكالمعاصي ممن علم الله منهم أنهم يقعون فيها، فإنه أراد ذلك لأنه علم أزلاً أنهم سيكفرون، لكنه سبحانه لم يأمر به لأنه لا يأمر بالكفر. وقد دل قوله تعالىٰ في شأن إبليس: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] على أنه قد علم أزلاً أنه (كافر) ومن (حزب الكافرين) فإباؤه السجودَ ظهورٌ لما كان لله معلوماً لذا جاء التعبير القرآني ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ولم يأت فأبى واستكبر وكفر.

وقد (يأمر ولا يريد) كالإيمان ممن علم كفرَهم، فما أراد إيمانَهم لأنـه علم أزلاً أنهم لا يؤمنـون، وما أمرهم بالإيمان إلاّ ليظهر في عالم الحكمة والعمل ما علمه الله أزلاً، فيكون الحساب على ما ظهر منهم لا على ما علمه فيهم. قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]. وتغاير الإرادةِ أهمٌّ لتعلقه بالواجب والجائز والمستحيل تعلق انكشاف، والإرادة بالجائز ـ وحده ـ تعلق تخصيص.

وكذلك غايرت الرضا، إذ الرضا يثمر قبول العمل والإثابة عليه، والإرادة تتعلق بما لا يرضى كالكفر والمعاصي.

(سمع) أي وواجب له السمع وهي الصفة الثالثة من صفات المعاني.

وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ، تتعلق بجميع الموجودات تعلق إحاطة وانكشاف. قال البيجوري: ويجب اعتقاد أن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر، وأن كلًّا منهما غير الانكشاف بالعلم، ولكلٍّ حقيقة يفوض علمها لله تعالىٰ. وليس الأمر على ما نعهده من أن البصر يفيد بالمشاهدة وضوحاً فوق العلم، بل جميع صفاته تامة كاملة يستحيل عليه الخفاء والزيادة والنقص، إلى غير ذلك. انتهى[1].

ودليل اتصافه تعالىٰ بهذه الصفة من الكتاب قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وقوله أيضاً: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] والآيات في هذا الباب كثيرة. وأما من السنة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أيها الناس، أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنه معكم سميع قريب»[2]. قاله لأصحابه عندما رفعوا أصواتهم بالدعاء. وأما الدليل العقلي على اتصافه تعالىٰ بالسمع، فتقريره أن تقول: إن السمع كمالٌ، والسميع أكمل ممن لا يسمع، فلو لم يتصف به لزم النقص، والنقص عليه تعالىٰ محال. وقد قرر

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد ص٤٦.

(٢) رواه البخاري.

ذلك الخليل إبراهيم فيما حكاه القرآن عنه بقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ [مريم: ٤٢]. والسمع له سبعة مطالب[١]، نشهد ونعتقد أن سمع الله.. موجود، وقديم، وباقٍ، ومخالف لسمعنا الحادث، وغني عن المخصِّص، وواحد، وعام التعلق بجميع الموجودات سواء أكانت ذواتٍ أو أصواتاً فذاتك ـ أيها الإنسان ـ مثلاً منكشفة بسمعه تعالىٰ.

(بصر) أي وواجب له البصر، وهي الصفة الرابعة من صفات المعاني. وهي صفة أزلية قائمة بذاته تعالىٰ تتعلق بالموجودات، الذوات وغيرها، والدليل من الكتاب على ثبوت صفة البصر، الآيات المارة في إثبات صفة السمع، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾ [التوبة: ١٠٥] ومن السنة الحديث المار. وأما الدليل العقلي فنحو ما ذكرناه في إثبات صفة السمع.

تنبيه: يجب أن يعتقد المؤمن أن سمعَ الله تعالىٰ ليس بصماخ وآذان، وبصرَه ليس بحدقة وأجفان ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) نور الظلام لنووي جاوي ص٤٢.

ثم إن البصر له سبعة مطالب[1] نشهد ونعتقد أن بصر الله موجودٌ، وقديم، وباقٍ، ومخالفٌ لبصرنا الحادث، وغني عن المخصِّص، وواحد، وعام التعلق بجميع الموجودات.

(حياة) أي وواجب له الحياة، وهي الصفة الخامسة من صفات المعاني. والحياة صفة أزلية قائمة بذاته، تقتضي صحة العلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر. وحياته تعالىٰ لذاته بخلاف حياتنا فإنها ليست لذاتنا، بل بسبب روح.

والدليل على اتصافه تعالىٰ بهذه الصفة أن تقول: الله تعالىٰ متصف بالقدرة والإرادة والعلم، وكل من كان كذلك تجب له الحياة، إذ لا يتصور قيامها بغير حي. قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]. والحياة لها ستة مطالب[2] نشهد ونعتقد أن حياة الله موجودة، وقديمة، وباقية، ومخالفة لحياتنا الحادثة، وغنية عن المخصص، وواحدة ولا تعلق لها بشيء.

(العلم) واجب له، وهو الصفة السادسة من صفات المعاني. والعلم صفة أزلية قائمة بذاته متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة وانكشاف من غير سبق خفاء.

---

(١) نور الظلام لنووي جاوي ص٤٢.

(٢) نور الظلام لنووي جاوي ص٤٣.

وتعلُّق العلم تعلق تنجيزي قديم، فيعلم الله تعالىٰ أزلاً الأشياء على ما هي عليه، إجمالاً وتفصيلاً، الكليات والجزئيات، ويعلم مالا نهاية له لكمالاته.

والعلم من أخص صفات الباريء سبحانه وتعالىٰ، إذ لا يمكن لموجِد العالم ومرتِّبه ومتقِنه أن يديره إلاّ إذا كان عالماً بما تقتضيه مصلحته. كما لا يمكن أن يكافيء المحسنَ بإحسانه، ويجزي المسيء بإساءته، إلاّ إذا كان خبيراً عالماً بتفاصيل ما يقع منهم من خير أو شر.

قال تعالىٰ: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤]. وقال تعالىٰ: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩]. وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [الأعلى: ٧]. وقال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ ﴾ [فاطر: ١١].

إلى غير ذلك من النصوص الواردات الدالاّت على أنه تعالىٰ بكل شيء عليم.

وأما الدليل على ثبوت العلم من العقل أن تقول: أن الله تعالىٰ صانع للعالَم صُنعاً متقناً، بالإرادة والاختيار، وكل من كان كذلك يجب له العلم.

ثم اعلم أن علمه تعالىٰ ليس كعلم الحوادث، وليس داخلاً في أقسام العلم الثلاثة: الكسبي والضروري والبدهي.

فالكسبي:[(١)] ما كان ناشئاً عن نظر واستدلال، ويقال له نظري. فإذا أقمت دليلاً على حدوث العالم بتغيُّره، فهو كسبيٌ ونظريٌ بمعنى.

والضروري: ما لا يتوقف على نظر واستدلال، لكن مقارنته للضرورة فيه إيهام، فلا يوصف به الباري تعالىٰ.

وأما البدهي: فهو ما يحصل للنفس بغتة، فلا يوصف به كذلك لهذا الإيهام.

ثم اعلم أن ما ورد مما يوهم اكتساب علمه تعالىٰ مؤوَّل وليس على ظاهره كقوله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٤٠] أي ليبين للناس حتى يعلموا.

فهو من باب التمثيل، أي يعاملكم في مداولة الأيام بينكم، معاملة من يريد أن يعلم المخلصين الثابتين على الإيمان من غيرهم. فهو مشابه لعلم الاختبار الذي يترتب عليه الجزاء، وإن كان المختبِر على علم سابق بالمختبَر، فهو إذن علم اختبار لا علم إخبار. وسرُّه أن الله تعالىٰ لا يحاسب الناس بعلمه فيهم، بل بما اكتسبت أيديهم[(٢)].

---

(١) هداية المريد للشيخ بكري رجب ص٣٧.

(٢) عون المريد ج١-٣٥٦/ ٣٥٧.

وكما في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: ٣١] فالغاية هنا في الحقيقة هي الإبلاغ والجهاد، وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه بأمرهما، والإشعار بترتب الجزاء عليهما، والمبالغة في الحث عليهما، والتحذير من التفريط فيهما[١].

والمراد في قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] أن بعث أهل الكهف من نومهم، ليَظْهَر لهم متعلق علمنا، فيكون: لنعلم، بمعنى: لنُعلِم، فاللام للعاقبة وهي المأتي بها لبيان المآل والمصير[٢].

والعلم له سبعة مطالب: نشهد ونعتقد أن علم الله موجود، وقديم، وباقٍ، ومخالف لعلمنا الحادث، وغني عن المخصص، وواحد، وعام التعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات.

(كلام) أي وواجب له الكلام. وهي الصفة السابعة من صفات المعاني. والكلام[٣] في حقه تعالىٰ صفة أزلية قائمة بذاته، ليست بحرف ولا صوت، منزهة عن التقدم والتأخر، والإعراب والبناء، ومنزهة عن السكوت النفسي، بأن لا يدير في نفسه الكلام مع القدرة عليه، ومنزهة عن الآفة الباطنية، بأن لا يَقدِر على ذلك كما يكون للآدمي في حال الخرس والطفولية.

---

(١) عون المريد ج١-٣٥٦/ ٣٥٧.

(٢) انظر عون المريد ج١/ ٣٥٧. وشرح الصاوي ص٩٩-١٠٠.

(٣) تحفة المريد ص٤٥.

وليلاحَظ أن كلام الله يطلق بالإشتراك على الحسي وعلى النفسي.

فالحسي: ما كان بحرف وصوت، مدلوله بعض مدلول الكلام النفسي القديم القائم بذاته تعالىٰ.

فعلى هذا القرآن الكريم الذي نتلوه بألسنتنا ونكتبه بأيدينا، ويسمعه بعضنا من بعض، هو كلامه تعالىٰ اللفظي الدال على المعنى القديم. وكل من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالىٰ فهو كافر، إلاّ إذا أراد أنه ليس هو الصفة القديمة القائمة بذاته. ومع ذلك فقد نهى العلماء عن القول بأن القرآن حادث، لما في ذلك من الإيهام. ولقد عُذِّبَ إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل، في سبيل امتناعه عن ذلك لهذا المعنى.

والحاصل أن أسلَمَ ما قاله أهل العلم، الاكتفاء باعتقاد أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ولم يزيدوا على ذلك شيئاً. لهذا يمتنع إطلاق الحدوث على اللفظي، رعاية للأدب، واحترازاً عن ذهاب الوهم إلى حدوث الكلام النفسي. وقد ضُرِب وحُبِس الإمام أحمد على أن يقول ذلك فأبى، كما أسلفت.

والنفسي: ما ليس بحرف ولا صوت، ولا يوصف بتقديم ولا تأخير، ولا تقسيم ولا بداية ولا نهاية، يتعلق بما يتعلق به العلم، وهو قديم ليس بمخلوق. وتكليم[١] الله تعالىٰ لسيدنا موسى عليه السلام

---

(١) شرح الصاوي ص١٠٢.

على الجبل كان بالكلام النفسي القديم على التحقيق عند الأشاعرة وبعض الماتريدية، خلافاً للمعتزلة والبعض الآخر من الماتريدية.

والكلام[1] له سبعة مطالب: نشهد ونعتقد أن كلام الله موجود، وقديم، وباقٍ، ومخالف لكلامنا الحادث، وغني عن المخصص، وواحد، وعام التعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات.

فالواجب ذات الله وصفاته وأسماؤُه.

والمستحيل كالشريك والولد والنقائص، والجائز كذواتنا وصفاتنا وأسمائنا. فيدل كلام الله على الواجب كقوله: ﴿أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه: ١٤]، وعلى المستحيل كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وعلى الجائز كقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وقوله (استمر) أي دام كلامه تعالىٰ ولا ينقطع، وليس معنى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أنه ابتدأ الكلام له بعد أن كان ساكتاً، فبعد ما كلمه انقطع كلامه وسكت. تنزَّه الله عن ذلك تنزهاً عظيماً، وإنما المعنى أنه تعالىٰ بفضله، أزال المانع عن موسى عليه السلام، وخلق له سمعاً وقوة حتى أدرك به كلامه القديم، ثم منعه بعد ورده إلى ما كان عليه قبل سماع كلامه. والدليل النقلي على إثبات صفة الكلام له تعالىٰ، آيات كثيرة منها قوله تعالىٰ:

---

(١) نور الظلام لنووي جاوي ص٤٣.

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٥]. وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والأخبار في هذا المعنى كثيرة منها حديث المعراج وفيه (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاطب ربه وأنه فرض عليه خمسين صلاة. . .)[1].

ودليل صفة الكلام نقلي كما وضحت، وقد يُسار إليه من طريق الدليل العقلي، حيث يقال: الوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص. ولو لم يكن صانع العالم متكلماً لَلَزِم النقص، وهو محال.

* * *

(١) رواه البخاري.

ولما فرغ من الكلام عن الواجب لله تعالى، شَرَع في القسم الثاني وهو الجائز عليه تعالىٰ فقال (**وجائز**) في حقه تعالىٰ (**بفضله وعدله**) أي اختياراً منه من غير وجوب عليه (**ترك لكل ممكن**) أي إعداماً (**كفعله**) للممكن إيجاداً، والممكن المراد به: جميع الممكنات، وهي ما كانت في تعلق القدرة والإرادة، خيراً كان أو شراً، حلواً كان أو مراً.

فإذا علمت أن الخير والشر من الله تعالىٰ، فاعلم إذاً أنه الخالق لعبيده وما عملوه من خير أو شر اختياراً أو اضطراراً، وليس للعبد إلاّ مجرد الميل حالة الاختيار. ولذلك طولب بالتوبة والإقلاع والندم عند فعل الشر، واستحق العقوبة والحد والثواب والعقاب، وهذا هو كسب العبد. ومذهب أهل السنة والجماعة أن للمخلوق كسباً في أفعاله الاختيارية. وهذا الكسب هو مناط الثواب والعقاب في المكلف، وليس موجِداً لها، بل له فيها نسبة الترجيح، كالميل للفعل أو الترك. والأصل في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]. ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] والآية الجامعة لإرادة الله تعالىٰ وكسب النفس ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

تنبيه: وبما تقرر من مذهب أهل السنة والجماعة أن الفعلَ خيرَه وشرَّه من الله تعالىٰ، إلاّ أن الأدب يقتضي أن لا يُنسب له تعالىٰ إلاّ

الحَسَن، فيُنسبَ الخير لله، والشر للنفس كسباً، وإن كان منسوباً لله إيجاداً.

قال تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء: ٧٩]. أي كسباً. كما يفسره قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وأما قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [النساء: ٧٨] فرجوع للحقيقة.

وتأمَّل إلى أدب الخضر عليه السلام حيث قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢] في نسبة الخير لله تعالىٰ وقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] في نسبة العيب لنفسه وتأمل أيضاً قول الخليل إبراهيم عليه الصلاة السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠]. ولم يقل أمرضني تأدباً، وإلاّ فالكل من الله تعالىٰ. وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

[فرع]:

وبالجملة فعلينا أن نعتقد أن الله تعالىٰ هو الخالق لقدرة الطاعة، فيمن أراد توفيقَه والوصولَ به إلى رضوانه ومحبته. كما أنه خالق لقدرة المعصية فيمن أراد خذلانَه وبُعْدَهُ عن رضاه ومحبته.

تتمة: يؤخذ من قول الناظم (بفضله وعدله) مسألة الثواب والعقاب. وهو أن الله تعالىٰ يعطي الثواب للمطيع، فضلاً منه في نظير عمله.

وقد ورد «لن يَدخُل أحدُكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا، إلاّ أن يتغمدني الله برحمته»[1].

فالثواب بمحض فضل الله تعالىٰ في نظير عمل، لأنه هو الخالق للعمل ولأن طاعة العبد لا تفي ببعض نعمه تعالىٰ.

وإنزال العقاب على العاصي عدل خالص منه، وله تعالىٰ أن يعذب المطيع ويعفو عن العاصي، ولا يُعَدُّ ذلك ظلماً، لأنه تصرَّفَ في ملكه، والظلم إنما هو التصرف في ملك الغير. خلافاً للمعتزلة القائلين بوجوب إثابة المطيع وتعذيب العاصي.

* * *

---

(١) رواه البخاري.

فصل: في صفات الأنبياء الواجبة

لما فرغ مما يتعلق بما يجب لله تعالىٰ وما يجوز عليه، شرع في الكلام على ما يجب في حق الرسل وما يجوز عليهم، وذكر ذلك بعد ذكر ما يجوز عليه تعالىٰ، لأن إرسال الرسل من الجائز العقلي في حقه تعالىٰ، وليس واجباً عليه، كما قاله المعتزلة والفلاسفة، ولا مستحيلاً كما قالته البراهمة. وإنما قالت الفلاسفة بوجوب إرسال الرسل بالعلة والطبيعة، لأنه يلزم من وجود الله وجود العالم، ومن وجود العالم وجود مَن يصلحه. وهذا بناء منهم على أن العالم قديم، ولا يَنْشَأُ عن الله إلاّ المصالح. وهؤلاء كفار بتلك العقيدة.

وأما قول المعتزلة بوجوب إرسال الرسل، فقد بنوه على قولهم بوجوب الصلاح والأصلح على الله لعبيده، ولا مصلحة في ترك العالم كالبهائم ـ كما قالوا ـ وهؤلاء فساق. وقاعدتهم هذه قد هدمها الإمام أبو الحسن الأشعري في مناظرة له مع أبي هاشم الجبائي رأس المعتزلة، حين سأله الأشعري بقوله: ما تقول في ثلاثة إخوة مثلاً، مات أحدهم كبيراً مطيعاً، ومات الآخر كبيراً عاصياً، ومات الثالث صغيراً. فقال الجبائي: الأول ـ يثاب بالجنة، والثاني ـ يعاقب بالنار، والثالث ـ لا يثاب ولا يعاقب.

فقال الأشعري: فإن قال الثالث: يا رب أمتني صغيراً، وما أبقيتني كبيراً فأطيعك فأدخل الجنة.

ماذا يقول الرب؟

فقال الجبائي: يقول الرب: إني أعلم أنك لو كبرت عصيت فتدخل النار، فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً.

فقال الأشعري: فإن قال الثاني: يا رب لِمَ لَمْ تُمِتني صغيراً فلا أدخل النار؟ وكذلك جميع أهل النار.

ماذا يقول الرب؟ فبُهِتَ الجبائي.

لذلك قال الناظم (**أرسل أنبيا**) مرسَلين، أي بفضله الخالص الذي لا يشوبه وجوب ولا علة. ويجب علينا الإيمان بسائر الرسل، إجمالاً في الإجمالي، وهو من سيدنا آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتفصيلاً في التفصيلي، وهو خمسة وعشرون. وسيأتي ذكرهم.

ويجب الإيمان بالصفات الواجبة لهم، فإنه تعالىٰ أرسل أنبياء من صفاتهم الواجبة لهم كونهم (**ذوي فَطانة**) أي أصحاب فطانة وهي أول صفاتهم. والفطانة معناها في حقهم: التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم الباطلة.

والدليل على وجوب الفطانة لهم عليهم الصلاة والسلام آيات منها قوله تعالىٰ: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣]. والحجة لا تكون إلاّ من فَطِن.

وكقوله تعالىٰ حكاية عن نوح: ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [هود: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

ومن لم يكن فطناً لا يمكنه المجادلة، فاللائق بمنصب النبوة أن يكون عندهم من الفطانة ما يردُّون به الخصم، ويقيمون عليه الحجة.

(بالصدق) وهي الصفة الثانية من صفاتهم عليهم السلام، وهي صفة ملازمة لهم كملازمة الظل للشاخص، وكذا سائر الصفات. والصدق معناه في حقهم أَن أَخبارهم مطابقة للواقع، ولو بحسب اعتقادهم. كما في قوله (كل ذلك لم يكن) لما قال له ذو اليدين: أَقَصُرَت الصلاة أم نسيت يا رسول الله[1]، حين سلّم من ركعتين.

ودليل وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام، أنهم لو لم يَصْدُقوا لَلَزِمَ الكذب في خبره تعالىٰ، لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالىٰ: (صدق عبدي في كل ما يبلغ عني) وتصديقُ الكاذب كذبٌ، وهو محال في حقه تعالىٰ.

(و) ثالث الصفات الواجبة (التبليغ) ومعناه في حقهم: أنهم بلغوا رسالة ربهم إلى من أُرسِلوا إليهم، ولم يكتموا شيئاً مما جاءوا به من عند الله.

---

(١) رواه البخاري.

والحاصل أن ما جاءوا به أقسام ثلاثة:

قسم أُمروا بتبليغه فلم يكتموا منه حرفاً، وقسم أُمروا بكتمانه فلم يبلِّغوا منه حرفاً، وقسم خُيِّروا بين كتمانه وتبليغه، فبلغوا البعض وكتموا البعض.

والدليل على تبليغهم، أنهم لو كتموا شيئاً مما أُمروا بتبليغه للخلق، لكنا مأمورين بكتمان العلم، لأننا مأمورون بالاقتداء بهم، واللازم باطل، لأن كاتم العلم ملعون. ولو جاز عليهم كتمان شيء من العلم لكتم مقدَّمُهم عليه الصلاة والسلام قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧]. وأصح ما قيل، ما نقل عن علي بن الحسين في تفسير هذه الآيات(١)، من أن الله أعلَمَ نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم، أن زينب ستكون من أزواجك. فلما شكاها إليه زيد، قال له: أَمْسِك عليك زوجَك واتق الله. وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها، والله مبدي ذلك بطلاق زيد لها وتزويجها له صلى الله عليه وآله وسلم.

ومعنى الخشية استحياؤه صلى الله عليه وآله وسلم من الناس أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه، أي مَن تبنَّاه. فعاتبه الله على هذا الاستحياء لِعُلُوِّ مقامه.

---

(١) انظر تحفة المريد على جوهرة التوحيد للباجوري ص٦٧.

ولا يُلتَفَتُ لما قيل في هذه الآيات من أقوال لا تليق بأهل الصلاح، فضلاً عن سيد المرسلين. (و) رابع الصفات الواجبة للرسل **(الأمانه)** وهي حفظ ظواهرهم وبواطنهم في حالة الصغر والكبر، قبل النبوة وبعدها، عن التلبس بمنهي عنه، ولو خلاف الأولى.

فأفعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين الواجب والمندوب. ـ ولكن قد يقع منهم صورة المكروه وخلاف الأولى ولكنه للتشريع فيصير واجباً في حقهم أو مندوباً. وكل ما أوهم المعصية منهم فمؤوَّلٌ بأنه من حسنات الأبرار سيئات المقربين، ولا يجوز التكلم به في غير مورده إلاّ في مقام البيان ـ وما وقع من آدم عليه السلام من الأكل من الشجرة التي نُهِيَ عن الأكل منها، فهو معصية لا كالمعاصي، لأنه تأوَّل الأمر لسرٍّ بينه وبين خالقه، وإن لم نعلمه، أو لتأوُّلِهِ في عدم الأكل من الشجرة التي أشار إليها، وأكل من غيرها من جنسها.

وكذا يقال فيما وقع من إخوة يوسف ـ على القول بأنهم أنبياء ـ أنهم فعلوا ذلك بمقتضى الحقيقة وباطن الأمر، كما في خرق السفينة وقتل الغلام، فهو بحسب الظاهر حرام، وبحسب الباطن مصلحة.

قال العلامة ابن حجر الهيتمي في شرح الهمزية: واعلم أن واقعة يوسف مع إخوته، واقعة عجيبة، تشتمل على غرائب، وعجائب، وَحِكَم، وأحكام، وعِبَر، وأمثال، وَذُلٍّ، وانخفاض، وعلو، وارتفاع، وعلى حُسن عاقبة الصبر، وخشية عاقبة الحسد، وعلى نصر المحق، وإن لم يكن له أعوان، وعلى خذلان المبطل وإن كان أعوانه وأنصاره

الوزراء والملوك، فضلًا عن غيرهم، وعلى أن التباغض، والتحاسد بين الإخوة، أمر قديم، قلَّ ما يسلَمُ منه خيمٌ أو أدِيم، وإن كملوا، وجلّوا، وعلت مراتبهم، وزكت معادنهم، ومذاهبهم، لما أن إخوة يوسف وقع منهم ما وقع، مع كونهم صلحاء، بل أنبياء، بنص قوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا . . . ﴾ الآية، اتفقوا على أن المراد بالأسباط أولاد يعقوب، فكوننا أمرنا بالإيمان بما أنزل إلى أبيهم، وبما أنزل إليهم ظاهراً، ونص في أنه أنزل عليهم ما يجب علينا الإيمان به إجمالاً، وهذا صريح في نبوتهم، وعليه: فقد يُستشكل ما وقع منهم في هذه القصة، من الأمور الكثيرة التي ظواهرها يجب تنزيه الأنبياء صلى الله عليهم وسلم عنها، بناء على الأصح، بل الصواب أن الأنبياء جميعهم، الرسل وغيرهم، معصومون قبل النبوة، وبعدها، من صغائر المعاصي، وكبائرها، سهوها، وعمدها، ويجاب بأن ذلك يتأتى على مذهب كثيرين بل نقل عن الأكثرين، أن العصمة إنما هي بعد النبوة، لا قبلها. والأولى أن يجاب بأن هذه الأمور، إنما تستشكل على قواعد شرعنا، أما على شرعهم فنحن لا ندريه، وبفرض أنه يوافق شرعنا في ذلك، فيحتمل أن لهم تأويلًا سوغ لهم ارتكاب ما فعلوه. انتهى.

ودليل وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام، أنهم لو خانوا بفعلِ محرم أو مكروه أو خلاف الأولى، لكنا مأمورين به، لأن الله تعالىٰ أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل، وهو تعالىٰ لا يأمر بمحرّم ولا مكروه ولا خلاف الأولى.

فصل: في الجائز في حق الرسل

لما قدَّم الكلام على الواجب في حق الرسل، شرع في الكلام على الجائز بقوله: (**وجائز في حقهم من عرض**) أي فيجوز في حقهم الأعراض البشرية (**بغير نقص**) في مراتبهم العلية (**كخفيف المرض**) ونحوه كالأكل والشرب والجماع. أما الأعراض التي تؤدي إلى نقص في مراتبهم فلا تجوز عليهم، مثل المرض المنفر طبعاً، كالجنون والجذام والبرص والعمى وسوء الخلق وخسة الأصل والعُنَّة والاحتلام والصمم ونحو ذلك. وأما ما تُكُلِّمَ به على بعضهم وكونه اتصف بذلك، كعمى سيدنا شعيب عليه السلام، فإنه لم يثبت. وما كان بيعقوب عليه السلام فهو حجاب على العين مِن تواصل الدموع. فلذلك لمّا جاءه البشير ارتد بصيراً[1] لانقطاع دمع العين. وما كان بأيوب من البلاء، وإن كان عظيماً، فالحق أنه كان بين الجلد والعظم، فلم يكن منفِّراً. وما اشتهر في قصَّته من حكايات فهي

---

(١) ومما كُتِب في بعض الصحف من سخافات لا يقبلها عقل عاقل ولا دين مسلم، حيث كتب أحدُ مَن يدعي أنه باحث في الطب، من كون ثوب يوسف لمّا وقع على وجه يعقوب عليهما السلام، ارتد بصيراً بسبب العرق الذي في ثوب يوسف، وأن العرق يُعالَج به، وقد جربه. هذا الكلام أسخف من السخيف، وتلاعُب بمعجزات الأنبياء وما أكرمهم الله به. فليُتأمل كلام الدخلاء.

باطلة. وأما السهو فممتنع عليهم في الأخبار البلاغية، مثل عذاب القبر ونعيمه وغيرهما كقيام زيد مثلًا. وجائز عليهم في الأفعال البلاغية وغيرها كالسهو في الصلاة للتشريع، لكن لم يكن سهوهم ناشىء عن انشغالهم بغير ربهم ولذا قال القائل:

يا سائلي عن رسول الله كيف سَها   والسهوُ من كل قلب غافل لاهِ
قد غاب عن كل شيء سرَّه فسها   عمـا سـوى الله فـالتعظيـم لله

وأما النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل تبليغها، قولية كانت أو فعلية، وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من الله تعالىٰ، وأما من الشيطان فيستحيل عليهم، إذ ليس للشيطان عليهم سبيل.

وأما قول يوشع عليه السلام ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣] تواضعٌ منه، أو قبل نبوَّته وعلمه بحال نفسه، وإلاّ فهو رحماني بشهادة ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤].

* * *

فصل: في عصمة الأنبياء والملائكة

العصمة لغة: مطلق الحفظ.

والعصمة اصطلاحاً: حِفْظُ الله تعالىٰ للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه. وبهذا المعنى: لا يجوز لنا أن نسألها. أما إن أريد معناها اللغوي فجائز.

ويجب أن يعتقد المكلف (**عصمتهم**) أي عصمة الباريء لكل واحد من سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة السلام (**كسائر الملائكة**) بمعنى أنها لا تنفك عنهم ولا تقبل الانتفاء وهي بهذا المعنى (**واجبة**) ومتحتمة، فلا يقع منهم ذنب، ولا ما ينقص مقامهم من حركة أو سكون أو قول أو فعل، مع بقاء قدرتهم واختيارهم. وما جاء عن هاروت وماروت فمن أكاذيب اليهود وافتراءاتهم، وتابعَهم على ذلك بعض المؤرخين والمفسرين، ولم يصحِ فيه شيء من الأخبار. وقد قيل إنهما كانا صالحين، وسُمِّيا مَلَكين تشبهاً بالملائكة في العبادة لكثرتها منهما وملازمتهما لها.

وإن قيل: إن العصمة قد تقدمت في الأمانة إذ الأمانة هي العصمة، يجاب بأنه إنما تعرض لها ليجمع الملائكة مع الأنبياء في حكمها والاتصاف بها.

(**و**) مع اعتقاد أن الأنبياء (**فاضلوا الملائكة**) فمرتبتهم ـ أي الملائكة ـ تلي مرتبة الأنبياء في الجملة. والذي يلي الأنبياء من

الملائكة رؤساؤهم، جبريل، فميكائيل، فملك الموت، ثم بقية الملائكة. وجبريل أفضل الملائكة، على المشهور.

والأدلة على تفضيل النبي على المَلَك كثيرة منها:

أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم على سبيل التكريم له، حتى قال إبليس: ﴿ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ [الإسراء: ٦٢]. ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [صٓ: ٧٥] لما فيه من الإشارة إلى العناية به، ولم يثبت ذلك للملائكة.

ومنها قوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجاثية: ١٣] فدخل في عمومه الملائكة. والمسخَّر له أفضل من المسخَّر. ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] ومنها أن طاعة الملائكة بأصل الخلقة، وطاعة البشر غالباً مع المجاهدة للنفس.

فصل:

وأفضل المخلوقات على الإطلاق الشامل للمخلوقات العلوية والسفلية من البشر والجن والملائكة في الدنيا والآخرة في سائر خصال الخير وأوصاف الكمال، نبيُّنا محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم. وقد أجمعت الأمة على هذا التفضيل، حتى المعتزلة. وما قاله الزمخشري من تفضيل جبريل عليه، خرقٌ للإجماع. وما تمسك به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]. وأن ذلك وصف لجبريل، واقتصر على

نفي الجنون عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢] لا دلالة في الآية لما ادعاه، لأن المقصود منها نفي قولهم ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] وقولهم: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ [سبأ: ٨] وليس المقصود المفاضلة.

وما ورد من النهي عن تفضيله صلى الله عليه وآله وسلم، كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تفضِّلوني على الأنبياء»(١) وقوله: «لا تفضلوني على يونس بن متى»(٢) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تخيروني على موسى»(٣) ونحو ذلك، محمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص غيرِه من الأنبياء، أو أنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل. ويحتمل أنه قاله تأدباً وتواضعاً.

وقيل معنى «لا تفضلوني على يونس بن متّى) أي: لا تعتقدوا أني أقرب إلى الله من يونس في الحس، حيث ناجيت ربي فوق السموات، وهو ناجى ربه في بطن الحوت في قاع البحر، لتنزهه تعالى عن الجهة والمكان فيستوي في حقه مَن فوق السموات ومَن في قاع البحر. وقال ابن كثير: «في خبر موسى المتقدم والذي فيه النهي عن تخيره على موسى بسبب الخصام الذي وقع بين اليهودي والمسلم، أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم، هذا من باب الهضم

---

(١) سنن أبي داود بلفظ (لا تخيروا بين الأنبياء).

(٢) سنن أبي داود بلفظ (ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى).

(٣) صحيح البخاري، ضحيح مسلم، مسند أحمد، السنن الكبرى.

والتواضع، أو قاله من باب النهي عن التفضيل في مثل هذا الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر، أو المقصود عدم التفضيل بمجرد الآراء والعصبية، أو المعنى أن مقام التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل»[١].

وقال الإمام النووي[٢] رحمه الله تعالى جوابه من خمسة أوجه:

أنه صلى الله عليه وآله وسلم قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به. أو قاله أدباً وتواضعاً. أو أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول، أو يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو مشهور في سبب الحديث.

والوجه الخامس أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوَّة فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى.

ولا بد من اعتقاد التفضيل وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أكرم الأولين والآخِرين على الله ولا فخر». أي: ولا فخر أعظم من ذلك، أو: ولا أقول ذلك فخراً، بل تحدثاً بالنعمة.

وبعده في الفضل سائر الأنبياء، وهم متفاوتون في الأفضلية، فيأتي في الأفضلية بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، سيدنا إبراهيم

---

(١) تفسير ابن كثير ١/ ٥٣٩.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٥-٣٨.

عليه السلام، فسيدنا موسى، فسيدنا عيسى، فسيدنا نوح عليهم الصلاة والسلام. وهؤلاء هم أُولو العزم - أي الصبر وتحمل المشاق من الرسل - وليس آدم عليه السلام منهم لقوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥] ويلي أولي العزم بقية الرسل، ثم الأنبياء غير الرسل مع تفاوت مراتبهم عند الله.

* * *

فصل: فيما يستحيل من الصفات على الله ورسوله

وأَخَّر الكلام على ما يستحيل على الله، ليجمعه مع ما يستحيل على رسله أيضاً في موضع واحد. فقال (**والمستحيل**) على الله (**ضد كل واجب**) له تعالى. فإذا علمتَ أن الله موصوف بالصفات المتقدمة، وهي النفسية والسلبية والمعاني والمعنوية، وهي العشرون الصفة الواجبة المتقدمة، فيستحيل عليه ضدُّها، وهي العدم وهو ضد الوجود، والحدوث وهو ضد القدم، والفناء وهو ضد البقاء، والمماثلة للحوادث ضد المخالفة لها، بأن يكون جرماً تأخذ ذاته العلية قدراً من المتحقق أو المتوهم، أو يكون عَرَضاً يقوم بالجرم، أو يكون في جهة للجرم أَوْ لَهُ هو جهة، أو يتقيد بمكان أو زمان، أو تتصف ذاته المقدسة بالحوادث، أو الصغر أو بالكبر، أو يتصف بالأغراض في الأفعال أو الأحكام، وأن لا يكون تعالى قائماً بذاته، بأن يكون صفة تقوم بمحل أو تحتاج إلى مخصِّص، وأن لا يكون واحداً بأن يكون مركباً بذاته، أو يكون له مماثل في ذاته أو صفاته، أو يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من الأفعال، أو يكون عاجزاً عن ممكن ما، أو أن يُوجِد شيئاً من العالم مع كراهة وجوده، أو مع الذهول أو الغفلة أو التعليل أو الطبع. ويستحيل عليه الجهل والموت والصمم والبكم والعمى[1].

---

(١) انظر هداية المريد ص٥٣.

وقد نظم أضداد الصفات الواجبة[1] عوض بن أحمد الغمراوي بقوله:

أضدادها عشرون مثلُها أتتْ | لكل وصفٍ ناقضٍ فيما ثبتْ
وهي العدم حدوثه كذا الفَنا | وكونه مماثلًا جَلَّ لنا
وعدمُ القيام أو تعدادُه | وعجزُه عن ممكنٍ إيجادُه
كذا كراهة وجهل صَمَمُ | والموت أيضاً والعمى والبَكَمُ
وما بقي من ضدها قد بانا | من ذا فليس يقبل البيانا
وأَوْجِبَنْ للأنبيا الأمانه | والصدق والتبليغ والفطانه
وضدها أَجِّله كالخيانه | كذا الكذب كتمانهم ديانه
بلادة فذا الذي قد وجبا | لله والرسل الكرام النُّجَبا

وبهذا يكون قد ذكر الصفات المستحيلة على الرسل وهي أربعة ضد الواجبة، فضد الأمانة الخيانة، وضد الصدق الكذب، وضد التبليغ الكتمان، وضد الفطانة البلادة **(فاحفظ)** أيها المكلف **(لخمسين بحكم واجب)** وهي الصفات وأضدادها، فعشرين الواجبة لله وضدها مثلها، وأربعة للرسل وضدها مثلها، والجائزة لله واحدة، وللرسل واحدة، تمام الخمسين.

* * *

(١) انظر نور الظلام لنووي جاوي ص٥٧.

تفصيلُ خمسةٍ وعشرين لَزِمْ   كُلَّ مكلَّفٍ فحَقِّقْ واغتنِمْ

فصل: في أسماء الرسل الذين يجب على المكلف معرفتهم

قد تقدم أنه يجب على المكلف إجمالاً الإيمان بالرسل، من آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وقد قال الباجوري[1]: وقد اختلفت الروايات في عدد الرسل والأنبياء. فروي أن الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر، وفي رواية وأربعة عشر، وفي رواية وخمسة عشر. وروي أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وفي رواية وخمسة وعشرون ألفاً، وروي أنهم ألف ألف ومائتا ألف .. إلى أن قال: والصحيح فيهما: الإمساك عن حصرهم في عدد، لأنه ربما أدى إلى إثبات الرسالة أو النبوة لمن ليس كذلك في الواقع، أو إلى نفي ذلك عمن هو كذلك في الواقع. وقد قال تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. فيجب التصديق بأن لله رسلاً وأنبياء على الإجمال إلاّ (**تفصيل خمسة وعشرين لزم**) أي وجب على (**كل مكلف فحقق**) أي تيقن عدد هؤلاء الرسل، (**واغتنم**) لتربح الإيمان الكامل، لأنهم قد ذكروا في القرآن الكريم.

فيجب الإيمان بهم، حيث لو ذُكِر واحد منهم لا تُجحَدُ رسالته.

وأما حفظ أسمائهم فليس بواجب. وهؤلاء الرسل الذين ذكروا في القرآن جمعهم الناظم بقوله:

---

(١) انظر حاشية الباجوري على السنوسية.

هُم: آدمٌ إدريسُ نوحٌ هودُ مَعْ صالحْ وإبراهيمُ كلٌّ متَّبَعْ

(هم) أي الرسل الذين ذكروا في القرآن، ويجب على المكلف الإيمان بهم (آدم) وهو أبو البشر (وقد سئل صلى الله عليه وآله وسلم، عن آدمَ عليه السلام: أنبي مرسل هو؟ فقال: نعم نبيٌّ مكلَّم)[1]. وهو أولهم. وثانيهم (إدريس) وهو حي في السماء السادسة، وقيل الرابعة أو السابعة. وقد قال الله فيه: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] وثالثهم (نوح) وهو الذي أنجاه الله من الغرق بعد أن أمره الله بصنع الفلك، بعد دعوته على قومه بالغرق، بعد أن لبث فيهم يدعوهم إلى الله ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وما آمن معه إلاّ قليل. ورابعهم (هود) وهو الذي أرسله الله إلى عاد، فعصوه، فأهلكهم الله بالريح الصرصر ـ أي الشديدة ـ وأنجاه الله منها.

(مع) خامسهم (صالح) وهو المرسل إلى ثمود، وأتى بمعجزته الناقة التي خرجت من أصل حصاة كبيرة، فعقر قومه الناقة، فأهلكهم الله بالصيحة وأنجاه الله منها. (و) سادسهم (إبراهيم) عليه السلام بن تارَخ بفتح الراء، وهو أبو الأنبياء وأبو الذبيح إسماعيل عليه السلام، وقصته مشهورة، وقد أمره الله بذبح ابنه، برؤية ذلك في المنام. ورؤية الأنبياء حق. وقال الله تعالى في سرد القصة: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٧].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر.

و(كل) ممن تقدم ذكره (متبع) أي أوجب الله على أمته أن يتبعوه في أمره ونهيه. وعلى كل مكلف أن يعتقد وصفه بالنبوة والرسالة ـ وهو إكمال للبيت ـ.

* * *

(لوط) عليه السلام سابعهم، وهو الذي أرسل الله العذاب على قومه بسبب إتيانهم فاحشة اللواط، بعد أن دعاهم للإيمان وتَرْك هذه الفاحشة الشنيعة، فعذبهم الله بأبشع عقوبة بأن أمر جبريل بقلع قراهم التسع بجناحه، ثم حملها إلى السماء ثم قلب سافلها على عاليها، وأنجاه الله وأهلَه إلاّ امرأتَه أخذها العذاب، لكونها من القوم الظالمين.

(و) ثامنهم (إسماعيل) بن إبراهيم خليلِ الله وأم اسماعيل هاجر. وقد أمر الله الخليل بإسكان إسماعيل وأُمِه في مكة. ومن تحت قدمي إسماعيل نبع زمزم، وهو الذي ساعد أباه في بناء الكعبة.

وتاسعهم (إسحٰق) بن إبراهيم أيضاً وأمه سارة. وقد قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وهو أن إبراهيم عليه السلام لما طلب الذرية على كِبَرٍ منه ومن زوجته، بشَّره الله باستجابة دعائه. لذا قال الناظم (كذا يعقوب) بن إسحٰق وهو عاشرهم. وأما حادي عشرهم فهو (يوسف) بن يعقوب وهو القائل: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

ويوسف عليه السلام هو الذي رماه إخوته في البئر، ثم وقع في الرِّق، ثم خلصه الله منه وولاّه على خزائن الأرض. وقد أعطي

عليه السلام نصفَ الحُسن. وقد ابتُلِي بالسجن فصبر، فمن أجل ذلك ولّاه الله على خزائن الأرض. وكذلك جزاء الصابرين.

(و) ثاني عشرهم (أيوب) القائل: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] بعد أن صبر عل بلائه. لذلك قال الناظم (احتذى) أي اقتدى بمن تقدَّم من الرسل، بالصبر على ما أصابه كما صبروا على ما أصابهم.

❊ ❊ ❊

شعيبُ هارونُ وموسى وَٱلْيَسَعْ ذو الكفـل داودُ سليمـانُ اتَّبَـعْ

وثالثَ عشرهم (شعيب) خطيب الأنبياء، ورابعَ عشرهم (هارون) بن عمران (و) هو أخو (موسى) عليهما السلام وهو خامسَ عشرهم (و) سادسَ عشرهم (اليسع) بن أقطوب ابن العجوز، وسمي بابن العجوز لأن أمه كانت عجوزاً لم تلد، فدعت الله فولدته. وسابعَ عشرهم (ذو الكفل) وثامنَ عشرهم (داود) بن إيشا وهو الذي تسبِّح الجبال بتسبيحه، والطير، وألان له الحديد. وتاسع عشرهم (سليمان) بن داود، (اتبع) من تقدم من الرسل. وفيه إشارة إلى تبرئته مما ألصقه اليهود به حتى أنهم زعموا أنه مَلِك لا رسول. وقد أوتي سليمان عليه السلام مُلكاً لا ينبغي لأحد من قبله ولا من بعده، وعُلِّم منطقَ الطير ومنطق كل شيء. وقد قال الله فيه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

* * *

وعشرونَهم (إلياس) ابن أخي موسى. والحادي والعشرون (يونس) بن متّى، وهو الذي ساهم فكان من المدحضين بالقرعة، ورمي به في البحر فالتقمه الحوت، فنادى وهو في الظلمات: لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. فأنجاه الله من الهم والكرب الذي وقع فيه بخروجه من بطن الحوت. ومنّ الله عليه بإرساله إلى مائة ألف أو يزيدون. والثاني والعشرون (زكريا) عليه السلام وهو الذي ذكره الله بقوله: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ . . . ﴾ الآية [مريم: ٢-٣]. والثالث والعشرون (يحيى) بن زكريا، الذي استجاب الله دعاء أبيه، ورزقه الله إيَّاه بعد أن بلغ من الكبر عتيّا، وكانت أم يحيى عاقراً. وقد ذكر ذلك المولى بقوله على لسان زكريا: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ۝٨ ﴾ [مريم: ٨].

ويحيى عليه السلام سيد الشهداء، وهو ذابح الموت يوم القيامة. وقد ذكره الله في كتابه بقوله: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥ ﴾ [مريم: ١٢-١٥].

❊ ❊ ❊

والرابع والعشرون (عيسى) عليه السلام ابن مريم، وقد خلقه الله من غير أب، وقصة حمله وولادته قد ذكرها الله في القرآن الكريم.

والخامس والعشرون (طه) وهو اسم من أسمائه صلى الله عليه وآله وسلم، وأسماؤه كثيرة. ومعنى طه كما قال سيدنا جعفر الصادق: طوبى لمن اهتدى. وهو صلى الله عليه وآله وسلم (خاتم) بفتح التاء وكسرها والكسر أشهر، أي أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده. وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لسيدنا علي لمّا خلفه في المدينة في غزوة تبوك: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنه لا نبي بعدي». وقال الله تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. لذلك قال الناظم (دع غياً) أي اترك ميلاً عن الحق باعتقاد ذلك. ويجب اعتقاد أن رسالته أيضاً خاتمةٌ للرسالات كلها، وناسخة لها. وأن رسالته لا تنسخها شريعةُ غيره، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن تزالَ هذه الأمةُ قائمةً على أَمر الله لا يضرهم مَن خالفهم حتى يأتيَ أمر الله»[1]، أي الساعة.

ولا يشكل ذلك بنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، ورفعه للجزية، لأنه إنما ينزل حاكماً بشريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) صحيح البخاري ومسلم.

وأما رفعه للجزية عن أهل الكتاب، فقد أخبر به صلى الله عليه وآله وسلم، وأعلَمَنا أن حكم الجزية باقٍ وغايته خروج عيسى، فإذا خرج ارتفعت. فحكمها إلى غاية، وإذا نزل عيسى لا يُقبل من أهل الكتاب إلّا الإسلام أو السيف.

والحاصل: أن نزول عيسى عليه السلام حَكَماً بهذه الشريعة كما قاله النووي(١): «ينزل حكماً بهذه الشريعة ولا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة».

و(يضع الجزية) أي لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلّا الإسلام.

❊ ❊ ❊

---

(١) شرح مسلم ٢/ ١٣٢.

عليهِمِ الصلاةُ والسلامُ وآلِهِمْ ما دامتِ الأيامُ

(**عليهم**) أي على المرسلين المذكورين.

(**الصلاة والسلام**) أي الرحمة والتحية عليهم (و) على (**آلهم**) كذلك (**ما دامت الأيام**) أي ما بقيت الأوقات.

والمعنى:

أطلب منك يا الله، أن ترحم هؤلاء بالرحمة المقرونة بالتعظيم، وتحييهم مدة دوام الأوقات والأزمان.

* * *

والمَلَـكُ الـذي بِـلا أَبٍ وأُمْ   لا أَكلَ لا شَرْبَ ولا نومَ لَهُمْ

ومما يجب على المكلف من عقائد الإيمان، الإيمان بالملائكة. وقد ذكر الناظم ذلك بقوله (والمَلَك) بفتحتين واحد الملائكة، ولذا وصفه بـ (الذي) المفيد للمفرد، فإفراده باعتبار لفظة مَلَك، وأراد به جنس الملائكة، خلقهم الله (بلا) واسطة (أب) (و) لا (أم) لا يوصفون بذكورة، فمن وصفهم بها فَسَق وفي كفره خلاف، ولا يوصفون بأنوثة فمن وصفهم بها كفر لمعارضة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]. ولا يوصفون بخنوثة ومن وصفهم بذلك فهو أولى بالكفر، لأن وصفهم بذلك أشد نقصاً من وصفهم بالأنوثة. وعن سعيد بن المسيب أنه قال: «والملائكة ليسوا ذكوراً ولا إناثاً، ولا يأكلون ولا يشربون، ولا يتناكحون ولا يتوالدون». وهم أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التشكل بأشكال مختلفة حسنة، مبرأة عن جميع الكدورات النفسية لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (لا أَكل) و(لا شَرْبَ) بفتح الهمزة والشين لأن المراد هنا الفعل لا المأكول والمشروب الذي هو الطعام (ولا نوم لهم) أي لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون. وهم بالغون من الكثرة ما لا يعلمه إلاّ الله. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[١].

---

(١) رواه مسلم بلفظ (خلقت الملائكة) سنن البيهقي.

تفصيـلُ عَشْـرٍ منهـمُ جبـريـلُ   ميكـالُ إسـرافيـلُ عـزرائيـلُ

ويجب الإيمان إجمالاً بجميع الملائكة و(**تفصيل عشر منهم**) واجب الإيمان به، بحيث لو ذُكِر أحدهم للمكلف لا ينكر كونه ملكاً. وهم (**جبريل**) أمين الوحي، وهو أفضل الملائكة و(**ميكال**) وهو الموكل بالأمطار والأرزاق و(**إسرافيل**) وهو الموكل باللوح المحفوظ، والنفخ في الصور، وينفخ في الصور نفختين: النفخة الأولى لفناء جميع المخلوقات إلاّ ما شاء الله، وهي المستثنيات السبع وهي العرش، والكرسي، واللوح، والقلم، والجنة وما فيها من الحور والولدان، والنار، والأرواح.

والنفخة الثانية تُبعث فيها جميع المخلوقات، فترجع الأرواح لأجسادها، لا تخطىء روح جسدها وما بين النفختين أربعون سنة. وفي ذلك يقول تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

و(**عزرائيل**) وهو ملك الموت الموكل بقبض جميع الأرواح من الإنس والجن وغيرهم.

* * *

و(منكر) و(نكير) وهما فتّانا القبر، يسألان الميت في قبره، ويسألان كُلَّ ميت، ومن تفرقت أجزاؤه بالموت كمن أكلته السباع ونحوه، تجمع أعضاؤه، لأن السؤال للروح والبدن. والسؤال يكون بعد الدفن وتعاد الروح إلى البدن عند السؤال، لكن وإن عادت الروح إليه لا ينتفي إطلاق اسم الميت عليه، لأن حياته ليست كاملة بل أمر متوسط بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما، وتُرَدُّ إليه كامل حواسه مما يتوقف عليها فهم الخطاب، ويتحصل منه رد الجواب حين يُسأل. وهما يسألان كل إنسان بلغته، يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ وما قبلتك؟ ومن إخوتك؟ وما إمامك؟ وما منهاجك؟ فمن وفقه الله، ألهمه الجواب وثبته بالقول الثابت. فيقول لهما: ومَن وكلكما عليّ؟ ومن أرسلكما إليَّ؟ وهذا لا يقوله إلاّ العلماء الأخيار. فيقول أحدهما للآخر: صَدَقَ، وقد كُفِيَ شَرَّنا. والمؤمن يقول: ربي الله وحده لا شريك له، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، والكعبة قبلتي، والمؤمنون إخوتي، والقرآن إمامي، والسنة منهجي. فيقولان له إذا وفق للجواب: صدقتَ، ونَمْ نومةَ العروس الذي لا يوقظه إلاّ أحبُّ الناس له. وأما الكافر والمنافق فيحصل لهما رعب فيقولان لهما: هاء هاء، لا أدري.

والحاصل أن حالة المسؤولين مختلفة، فمنهم من يُشَدَّدُ عليه، ومنهم من يُرفَق به، كُلًّا حَسَب عمله. وكلُّ مكلف يُسأل ولو جِنّاً، لا مَلَكاً.

ويُستثنى من المكلفين: الأنبياء، والصديقون، والشهداء، وملازم سورة تبارك أو سورة السجدة، ومن قرأ سورة الإخلاص في مرضه الذي مات فيه، ونحو ذلك (ورقيب وكذا عتيد) وهما الحافظان لما يَصدُر من العبد مِن قول أو فعل أو اعتقاد. وكلٌ منهما رقيب أي حافظ، وعتيد أي حاضر، أي فكل واحد منهما يُسمى بهذين الإسمين، لا كما قد يتوهم مِن أَنَّ أحدهما رقيب والآخر عتيد. قاله الباجوري كالجلال المحلي(١).

مع ملاحظة أن ظاهر كلام الناظم أنهما ملكان أحدهما رقيب والآخر عتيد كما ظهر لي.

والدليل على كتابة الأعمال من قبل الملائكة قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] وقال: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [قٓ: ١٨]. وهناك حفظة غير الكتبة وهم يحفظون الإنسان بأمر الله قال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴾ [الطارق: ٤]. وقال تعالىٰ: ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]. فيدفعان عنه، إلاّ إذا كان الأمر مبرم فينفذ ولا يستطيع الحفظة دفعَه.

وأما الخَزَنة اثنان (مالك، ورضوان احتذى) أي تَبعَ مالكاً في كون كل منهما خازن. فمالك هو خازن النار وهو الموكل بها،

---

(١) انظر نور الظلام ص٨٠.

ومعه الزبانية تسعة عشر. كما قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠] ومع كل واحد من التسعة عشر، جنود لا يعلم عددَهم إلّا الله. كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، ورضوان موكل بالجنان وهو رئيس خزنتها.

❊ ❊ ❊

فصل: في الكتب السماوية التي يجب على المكلَّف معرفتُها والإيمانُ بها

ومما يجب على المكلف الإيمان بالكتب السماوية، وهي المنزلة من السماء في الألواح، أو أنها خطابات من الله تعالىٰ، إما سماعاً من الله تعالىٰ بلا كيف، أو بلاغاً من المَلَك المنزَل للتبليغ. وأنه ليس للمَلَك ولا للنبي تصرف في اللفظ والمعنى، ولكنهما يبلِّغان عن الله تعالىٰ كما بلغ إليهما وحياً وتنزيلاً أو سماعاً منه، بلا كيف، كما في موسى عليه السلام.

والإيمان بجملة الكتب المنزلة بغير حصر لها، كما قال تعالىٰ: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] والكتاب أريد به الجنس، وليس المراد به الإفراد.

وقيل أن جملة الكتب المنزلة مائة وأربعة، وقيل أنها مائة وأربعة عشر، وقيل غير ذلك.

والأسلم عدم الحصر في عدد معين، إلاّ أنه يجب الإيمان تفصيلاً بأربعة كتب، كما قاله الناظم: (أربعة من كتب) يجب

الإيمان بها (تفصيلها) بحيث يجب على المكلف أن يؤمن بأن الله أنزلها، ولا ينكر واحداً منها، بحيث لو أنكر واحداً منها لكفر. كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]

وهي (توراة موسى) أي التوراة التي أنزلت على سيدنا موسى عليه السلام وكان تنزيلها (بالهدى) أي فيها الهدى وبيان الحق، وهو الأمر بوجوب اتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونعته فيها أي في التوراة. كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].

* * *

وثاني الكتب الأربعة (زبور داود) أي الزبور الذي أنزله الله تعالىٰ على سيدنا داود عليه السلام كما قاله تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، (و) ثالثها (إنجيل) وأنزل (على) سيدنا (عيسى). كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦].

(و) رابعها (فرقان) أي القرآن. وهو اسم من أسمائه، وأنزل (على خير الملا) وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهو خير الملأ، وأراد الملأ هنا الأنبياء والمرسلين، وهو خيرهم وأفضلهم. وقد تقدم بحث ذلك.

❊ ❊ ❊

وصُحُـفُ الخليـلِ والكَلِيـمِ   فيهـا كـلامُ الحَكَـمِ العليـمِ

(و) إتماماً للإيمان الواجب نحو الكتب، فعلى المكلف أيضاً أن يعتقد أن الله أنزل صحفاً. وهذه الصحف هي (**صحف الخليل**) وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام (و) صحف (**الكليم**) وهو سيدنا موسى عليه السلام. وقد أنزلها الله عليه قبل التوراة ويجب الإيمان بها إجمالاً من غير عدد معين.

وأن هذه الصحف (**فيها كلام**) الله (**الحكم**) أي من أحكم التدبير وأتقنه (**العليم**) أي مَن عِلْمُه غيرُ مستفادٍ، ومعلوماته ما لها من نفاد. وفي ذلك يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٨-١٩].

* * *

فصل: في طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

(وكل) وهي من أدوات العموم **(ما أتى)** أي ما جاء **(به الرسول)** صلى الله عليه وآله وسلم **(فحقه التسليم)** أي فواجبه علينا الاعتراف أي الإقرار بصحته. **(والقبول)** أي الرضا به والتسليم الكامل لما جاء به. لأن مَن أَبغَضَ شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كفر. والذي أتى به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: التوحيد والشرائع والأحكام. والذي يجب على المكلف، الإذعانُ لما جاء به عليه الصلاة والسلام من أمور التوحيد، وكذا الشرائع والأحكام، سواء أكانت أموراً تعبُّدية محضة، أو أموراً تنظيمية في شؤون الحياة، والتي منها الحدود التي شرعها الله تعالى. فلو أبغض المكلف شيئاً مثلاً من هذه الحدود، ورأى أنها بشعة، كقطع يد السارق بشروطه، أو قيام القصاص على مَن قَتَلَ غيرَه بشرطه، وأبغضها، فإنه لا محالة يكفر بذلك وكذلك لو استحسن القوانين الوضعيةَ ورأى أنها أحسن وأجدى من القوانين الشرعية، فلا شك ولا ريب في كفره، لقوله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به». ولقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

فصل: ومما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ويجب على المكلف الإيمانُ به، القضاءُ والقَدَرُ. فالإيمان بهما فرض من فرائض الإيمان والإسلام، فمن لم يؤمن بهما فهو كافر. لما روي عن عليٍّ كرّم الله وجهه، أن النبي صلى الله وآله وسلم قال: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمنَ بأربعةٍ يشهد أن لا إله إلاّ الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيرِه وشرِّه حُلْوِه ومُرِّه»[1].

ومعنى الإيمانِ بالقدر: هو أن يؤمن إيماناً جازماً بأن الله سبحانه وتعالىٰ، قدَّر الأمور وأحاط بها علماً قبل أن يوجدها إلى هذا العالم. وقد نظم العالم العلامة الأجهوري القضاء والقدر بقوله:

إرادةُ الله مـــع التعلُّـــقِ فـــي أزلٍ قضـــاؤه فحَقِّـــقِ
والقدرُ الإيجادُ للأشيا على وجـــهٍ معيَّـــنٍ أراده عَـــلا

قال الإمام النووي رحمه الله: (واعلم أن مذهبَ أهلِ الحق، إثباتُ القَدَر. ومعناه أن الله تبارك وتعالى، قدر الأشياء في القِدَم، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حَسَب ما قدرها الله. وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه سبحانه لم يقدِّرها ولم يتقدم علمه بها، وأنها مستأنفةُ العلم، أي إنما يَعْلَمُها بعد وقوعها. وكذبوا على الله، تعالىٰ وجلَّ عن أقوالهم الباطلة علواً كبيراً)[2].

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) شرح مسلم النووي ١/ ١٥٤.

فصل: في الإيمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه

وأما (إيماننا بيوم آخر) فقد (وجب) علينا نحن المكلفين. واليوم الآخر هو يوم القيامة، ويسمى يوم الدين، ويوم الجزاء، ويوم الحساب، ويوم البعث. وله نحو ثلاثمائة إسم. وتعداد الإسم في المسمى الواحد، دليل على تعظيمه. ويسمى باليوم الآخر لأنه آخر الأيام فلا ليلَ بعده. وقيل: لأنه متصل بآخر أيام الدنيا. وسمي يوم القيامة لقيام الناس من قبورهم بين يدي خالقهم، ولقيام الحجة لهم أو عليهم. وأوله من قيام الناس من قبورهم وقيل من المحشر وقيل من الموت ولا نهاية له. وقيل: ينتهي بدخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار. وطول ذلك اليوم ألف سنة وقيل خمسون ألفاً، قال عبد الله ابن عَمرو: تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ٦] . ثم قال: «كيف بكم إذا جمعكم الله كما تُجمَع النبل في الكنانة، خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم»[١].

وتتفاوت مراتب الناس في طول زمن ذلك اليوم، فمنهم من يمر عليه الوقت الذي ذُكِر في طول ذلك اليوم، ومنهم من يخفف الله عنه حتى ما يشعر بطول ذلك اليوم ويمر عليه كوقتٍ بين صلاتين وبالجملة فهو طويل على الكفّار، والمنافقين، ووسط على الفاسقين،

(١) رواه الطبراني في الكبير.

وخفيف على الطائعين، حتى يكون كصلاة ركعتين. فقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يقوم الناس لرب العالمين مقدارَ نصفِ يومٍ من خمسين ألف سنةٍ يُهَوَّن ذلك على المؤمنين كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله ليخفِّفُ على من يشاء من عباده طوله كوقت صلاة مفروضة».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فقيل: ما أطول هذا اليوم! فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي نفسي بيده إنه ليُخَفَّفُ على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا»[٢].

(و) مما يجب الإيمان به في ذلك اليوم **(كل ما كان به من العجب)** أي كل ما اشتمل عليه من الأمور التي تؤدي إلى الدهشة من شدة هوله، كالحشر، والحساب، والشفاعة، والحوض، والجنة، والنار والصراط، والميزان، وتطاير الصحف، وأخذ الناس لها، وحال الناس في ذلك اليوم، وأما الحشر وحال الناس في ذلك اليوم فقد قال الباجوري[٣] نقلًا عن الثعلبي: وأما الحشر فهو سَوْق

---

(١) أخرجه البيهقي.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي.

(٣) انظر الباجوري على السنوسية ص٦٩-٧٠.

الناس إلى المحشر وأن الناس في الحشر متفاوتة ـ أي أحوالهم ـ فمنهم الراكب، ومنهم الماشي على رجليه، ومنهم من يمشي على وجهه، ومنهم من هو على صور القردة وهم الزناة، ومنهم من هو على صورة الخنازير وهم الذين كانوا يأكلون السحت والمُكس، ومنهم الأعمى وهو الجائر في الحكم، ومنهم الأصم الأبكم وهو من يُعجَب بعمله، ومنهم من يمضغ لسانه ويسيل القيح من فمه وهم الوعاظ الذين تخالف أعمالهم أقوالهم، ومنهم من هو مقطوع الأيدي والأرجل وهم الذين يؤذون الجيران، ومنهم من يُصلَب على جذوع من النار وهم السعاة بالناس إلى السلطان، ومنهم من هو أشد نتناً من الجيفة وهم الذين يقبلون على اللذات والشهوات ويمنعون حق الله من أموالهم، ومنهم من يلبس جبة سابغة من قطران وهم أهل الكبر والعجب والخيلاء. ثم عند وصولهم إلى المحشر يقفون فيه وتصطف الملائكة مُحْدِقين بهم، وتدنو الشمس من رؤوسهم حتى ما يكون بينها وبينهم إلاّ قَدْر مِيل (أي مِيل المُكحلة لا المِيل المعروف) فحينئذ يشتد الخوف والهول، ويعظم الكرب. فيتمنَّون الإنصراف ولو للنار. ثم بعد طول الموقف عليهم يُلهَمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وبين خلقه، فيذهبون إليهم يستشفعون بهم واحداً بعد واحد. فيتنصل (أي يعتذر) كل منهم بما وقع له من صورة الخطيئة، ويقول: لست لها، لست لها، نفسي نفسي. فإذا انتهى الأمر للرئيس الأعظم، والسيد الأكمل الأفخم، قال: أنا لها، أنا لها، أُمتي أمتي. ثم يَخر ساجداً تحت العرش كسجود الصلاة. فيقال: يا محمد، ارفع

رأسك، وسل تُعْطَ، واشفع تشفّع، فيرفع رأسه ويَشْفَع في فصل القضاء. وهذه الشفاعة العظمى وهي مختصة به صلى الله عليه وآله وسلم. وله شفاعات أُخَر، بل ولغيره من باقي الأنبياء والعلماء والصالحين، لأنهم يتجاسرون على ذلك بسبب شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الذي يفتح لهم باب الشفاعة. ثم بعد ذلك يحاسَبون إلاّ من ورد الحديث باستثنائه. فإنه ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب» فقيل له: هلّا استزدت ربك؟ فقال: «استزدته فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً» فقيل له: هلّا استزدت ربك؟ فقال: «استزدته فزادني ثلاث حثيات بيده» أو كما قال. أي ثلاث دفعات من غير حصر، وكيفيته مختلفة باختلاف أحوالهم. وأما أَخْذ الصحف وتطايرها فمما يجب أن يعتقده المكلف، بأن المكلفين من الثَّقَلَين يأخذون صحفهم التي كُتبت فيها أعمالهم، ما عدا السبعين ألفاً والملائكة والأنبياء. ولقد ورد أن الريح تطير بها من خزانة تحت العرش فلا تخطىء صحيفةٌ عنقَ صاحبها. قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾ [الحاقة: ١٩-٢٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦].

وأما الميزان فيجب اعتقاده واعتقاد الوزن أيضاً وأن ذلك حقيقة كما ورد به القرآن. قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣]. وأما كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض، فقد ثبت بالسنة أنها تصور بصورة حسنة إن كانت الأعمال صالحة، وبصورة قبيحة إن كانت بخلاف ذلك. والحاصل أن الميزان واحدٌ على الراجح، له قصبة وعمود وكفتان كلٌ منهما أوسع من أطباق السموات والأرض.

وأما الصراط فيجب الإيمان به أيضاً، وهو جسر ممدود على متن جهنم يَرِدُه الأولون والآخِرون حتى الكفار. وهو أدق من الشعرة وأحد مِن السيف، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أولَ من يُجيز بأمته من الرسل. ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل، ودعوة الرسل يومئذٍ: اللهم سلِّم اللهم سلِّم. وفي جهنم كلاليبُ مثلُ شوك السعدان. هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عِظَمِها إلا الله تعالىٰ، تختطف الناس بأعمالهم. فمنهم من يُوبَق بعمله ومنهم من يُخردَل ثم ينجوا. . .»(١). وفي بعض الروايات: «إنه أدق من الشعرة وأحد من السيف»(٢). وأما الجنة والنار فيجب الإيمان بهما، وأن الجنة حق وهي دار الثواب، وأن النار حق وهي

---

(١) متفق عليه وهو حديث طويل.

(٢) متفق عليه وهو حديث طويل.

دار العقاب. وهما موجودان الآن، وأجمعت الأمة على ذلك، لا كما يزعم أبو هاشم عبد الجبار من المعتزلة أنهما توجدان يوم القيامة. والقرآن والسنة أدلتهما قائمة على وجودهما الآن. بقوله تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل: «ما لي لم أَرَ ميكائيل ضاحكاً قط؟ فقال: ما ضحك منذ خلقت النار»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لمّا خلق الله الجنة. . .»(٢).

وأما الحوض فيجب على المكلف الإيمان بحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وذلك لورود الآثار الجليلة الصريحة بذلك. وقد كادت أحاديثه أن تبلغ حد التواتر. منها عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لَبِعُقْرِ حوضي أذود الناس لأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفَضَّ عليهم. فسئل عن عرضه! فقال: مِن مقامي إلى عمان. وسُئل عن شرابه! فقال:

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد.

أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يَغُتُّ، فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب والآخر من وَرِق»(١).

وأما الشفاعة فهي حاصلة في ذلك اليوم، ووردت بها الآثار فيجب اعتقاد وقوع شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم فهو الشفيع المشفع المقدم على غيره في مرتبة الشفاعة العظمى، التي يتدافعها جميع الأنبياء ويعتذرون عنها. فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: أنا لها، أنا لها. ويسجد تحت العرش ويُلْهَم المحامد. فيقال له: ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفّع. وقد تقدم بيان ذلك.

ومنها شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب، ومنها فيمن استحق دخول النار فلا يدخلها. وشفاعته في تخفيف العذاب عن عمه أبي طالب، وشفاعته في أهل الكبائر من أمته. فقد قال عليه الصلاة والسلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»(٢). ثم شفاعة غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين. وذلك ثابت فقد ورد من حديث طويل قوله عليه الصلاة والسلام: «... فيقول الله تعالىٰ: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، ولم يبق إلاّ أرحم الراحمين»(٣).

---

(١) رواه مسلم ومعنى (بِعُقْر حوضي) مؤخره (وأذود الناس) أدفعهم لِيَرِدَ أهل اليمن (يرفضُّ) يسيل (يَغُتُّ) يجري جرياناً له صوت.

(٢) رواه الترمذي، وأبو داوود والبيهقي ومسند أحمد.

(٣) متفق عليه.

تتمة: يجب الإيمان بعلامات اليوم الآخر المتواترة، فهي حقٌ ثابت كثبوت اليوم الآخر. وعلاماته الصغرى: منها ما قد وقع ومنها ما لم يقع. وأما العلامات الكبرى فهي عشر علامات. قال حذيفة بن أسيد الغفاري: (اطَّلَع النبي صلى الله عليه وآله وسلم علينا ونحن نتذاكر. فقال: ما تذكرون؟ قالوا: نذكر الساعة. قال: إنها لن تقوم حتى تَرَوا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجّال، والدّابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاث خسوف خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[١].

* * *

(١) مسلم والترمذي وأبو داوود.

خاتمةٌ في ذِكْرِ باقي الواجبِ   مما على مكلَّفٍ مِن واجبِ

فصل: فيما يجب على المكلف نحو نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم

(**خاتمة**) أي هذه الخاتمة، فهي خبر لمبتدأ محذوف، نسأل الله حسنها. (**في ذكر باقي الواجب**) أي ما بقي (**مما**) يجب (**على**) كل (**مكلف**) اعتقاده (**من واجب**) والخاتمة لغة: آخر الشيء. واصطلاحاً: اسم لألفاظ مخصوصة دالة على معانٍ مخصوصة جُعلت آخرَ كتاب أو باب.

وجعل الناظم هذه الخاتمة ليتم بها ما يجب اعتقاده على كل مكلف في حق نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من معرفة اسمه، ونسبه، وعموم رسالته، وأفضليته، وصفته، ونحو ذلك. وقد بدأ الناظم بعموم رسالته فقال:

❊ ❊ ❊

(نبينا محمد) صلى الله عليه وآله وسلم (قد أرسلا) تحقيقاً والألف للإطلاق (للعالمين) وهم ما سوى الله تعالىٰ. فرسالته عامةٌ لجميع الخلق، حتى الملائكة والجمادات والحيوانات التي لا تعقل لكن رسالته للآخرين هذه رسالة تعريف، وللملائكة رسالة تشريف لا تكليف. وقال ابن حجر: بل رسالته للملائكة رسالة تكليف بما يليق بهم، وأما للثقلين وهم الإنس والجن وكذلك يأجوج ومأجوج رسالة تكليف بالإجماع. ومَن نَفىٰ عموم رسالته كالعيسوية ـ وهم فرقة من اليهود يزعمون أن محمداً مرسل إلى العرب خاصة ـ فهو كافر. لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُعطيتُ خمساً لم يُعْطَهن أحدٌ من الأنبياء قبلي: نُصِرْت بالرعب مسيرة شهر، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لِيَ الغنائم ولم تَحِلَّ لأحد من قبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ وكان النبي يُبعَث إلى قومه خاصة وبُعِثت إلى الناس كافة»[1]. وقد حقق بعضهم من شمول الآية والحديث، حيث وردا بإرساله للناس كافة، من أنه أُرسل للأمم السابقة وأنبيائهم. ولعل ما يبين ذلك أن الله تعالىٰ أخذ الميثاق عند إرساله لكل رسول أن يؤمن به صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) روي في الصحيحين.

وقد قال الله تعالىٰ في ذلك: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١] وكانت رسالته صلى الله عليه وآله وسلم (رحمة) للعالمين. فمؤمنهم برسالته نجا في الدنيا والآخرة، وكافرهم أمن من الاستئصال بإرسال عذاب عام، وكذا سائر من في الكون. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، (و) مما يجب أن يعتقده المكلف في نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً كونه (فُضِّلا) على غيره من الأنبياء والمرسلين. وقد تقدم أدلة تفضيله على غيره. ويكفي في تفضيله على سائرهم أن الله أرسله لكافة الناس فقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أول الناس خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وَفَدوا، وأنا مبشِّرهم إذا يئسوا. لواء الحمد يومئذٍ بيدي، وأنا أكرمُ ولدِ آدمَ على ربي ولا فخر»(١).

ومما يدل على تفضيله أيضاً، قوله عليه الصلاة والسلام: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من

---

(١) رواه الترمذي.

يحرك حَلَقَ الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخِرين ولا فخر»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيدُ ولدِ آدمَ يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»[2].

* * *

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه مسلم.

فصل: في نسبه صلى الله عليه وآله وسلم

ويجب على المكلف أن يعرف اسمَه ونسبَه الشريفَ صلى الله عليه وآله وسلم. فهو صلى الله عليه وآله وسلم محمدٌ، وهو عَلَم على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم. وسمي به لكثرة خصاله الحميدة، وسماه به ربه في الأزل، وبعد ولادته بأسبوع طاف به جده عبد المطلب وسمّاه محمداً، وقيل سمته أمه محمداً، ولعله توافق.

وولد عام الفيل يوم الإثنين، لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيعٍ الأولِ، وتوفّى أبوه وهو ابن شهرين، وقيل بل توفّى وهو حملٌ. وأرضعته حليمة بنت ذؤيب السعدية، وأقام عندها في بني سعد أربعَ سنين، وردته إلى أمه حين شُقَّ عن فؤاده. وخرجت به والدته إلى المدينة تزور أخواله، فتوفيت بالأبواء وهي راجعة إلى مكة، ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام، وقبرها هنالك معروف مشهور. فلمّا دفنت حملته أم أيمن إلى مكة بعد وفاة أمه بخمسة أيام. وتوفي جده عبد المطلب وعمره ثمان سنين. وأوصى به جدُّه عبد المطلب إلى أبي طالب ولدِه، وشهد به حرب الفجار وهو ابن عشر سنين، وقيل أقل من ذلك. وخرج معه إلى الشام وهو ابن ثنتي عشرة سنة.

وخرج إلى الشام في تجارة خديجة رضي الله عنها وهو ابن خمس وعشرين سنة، ومعه غلامها ميسرة. وتزوجها صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك بشهرين وأيام.

وبُنيتِ الكعبة بعد أن انهدمت بسبب السيل، ورضيت قريش بحكمه في وضع الحجر وهو ابن خمس وثلاثين سنة. وبُعِث صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن أربعين سنة. وتوفي عمه وقد قارب الخمسين سنة. وتوفيت خديجة رضي الله عنها بعد أبي طالب بثلاثة أيام، فسماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحزن، لأن أبا طالب كان يحميه ممن يؤذيه، وخديجة تصدقه إذا أوى إلى منزله، وتسليه عن كل ما يجري عليه، وتنفق مالها في حب الله ورسوله، ومِن تسليتها له، قولها: أنت رسول الله حقاً... الخ.

وأسري به صلى الله عليه وآله وسلم إلى بيت المقدس على البراق، وإلى السمٰوات في المعراج، بجسده وروحه في اليقظة، في ليلة بعد سنة ونصف من رجوعه إلى مكة، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد خرج بعد موت خديجةَ بثلاثة أشهر إلى الطائف ثم رجع إلى مكة.

ثم هاجر ومعه الصديق صاحبه، وعامر بن فهيرة رضي الله عنهما، وعبد الله بن أريقط. وخلّف علياً رضي الله عنه على فراشه بمكة ليَرُدَّ ودائعَ كانت عنده صلى الله عليه وآله وسلم، ويقضي ديوناً ويلحق به، وكانت هجرته وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. ودخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً خلت من ربيعِ الأولِ. وكان التاريخ من ذلك ثم حوِّل إلى المحرم. وسيأتي توضيح ذلك بأكثر مما ذكرنا، في موضعه.

وتوفي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة، بعد أن مكث فيها عشر سنين وشهرين، وبمكة ثلاث عشرة سنة أي بعد البعثة، فمات عليه الصلاة والسلام يومَ الاثنين مستهلَّ ربيعِ الأولِ سنةَ أربعٍ وستين من عام الفيل، ومن الهجرة سنة إحدى عشرة. وله ثلاث وستون سنة وثلاثة أشهر صلى الله عليه وآله وسلم. ودفن في بيت عائشة رضي الله عنها في المكان الذي قبض فيه، وغسله الإمام علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وأسامة بن زيد، وشقران، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، رضي الله عنهم. واستأذن أوسُ بن خولي الإمامَ علياً في حضور الغسل فأذن له، واحتضنه الإمام إلى صدره وولى غسله وكان الذي يقلبه معه العباس والفضل وقثم، وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه هما اللذان يصبان الماء عليه، وثوبه صلى الله عليه وآله وسلم الذي مات فيه عليه لم ينزع، وصلّى عليه جبريل عليه السلام في ملائكة الله عز وجل، ثم أهل بيته، ثم الناس أفواجاً أفواجاً فُرادىٰ.

وغزا صلى الله عليه وآله وسلم تسعَ عشرةَ غزوةً. وقيل ستاً وعشرين، والغزوات التي قاتل فيها تسعٌ. ولم يحجَّ من المدينة غيرَ حجة الوداع سنةَ عَشْرٍ من الهجرة. ودفن ليلة الأربعاء ثالث يوم توفّى فيه عليه الصلاة والسلام، وهو يوم الاثنين. وصلّى عليه العباس وعلي في بني هاشم، ثم دخل المهاجرون والأنصار، ثم الناس لا يؤمهم أحد، ثم النساء، ثم الصبيان. وكان كيوم القيامة شدةً وجزعاً وبكاءً صلى الله عليه وآله وسلم.

(أبوه) صلى الله عليه وآله وسلم (**عبد الله**) وُلِدَ عبد الله بن عبد المطلب أبو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قبل الفيل بخمس وعشرين سنة، وكان أبو طالب والزبير شقيقيه، وكذا البنات ما خلا صفية، وتوفي أبو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن شهرين، واختُلِف في ذلك. وكان أبوه ـ أي عبد المطلب ـ يحبه لأنه كان أحسن أولاده وأعفّهم وأنبلهم، وكان أبوه بعثه بتجارة فمر بيثرب فمرض فمات بها، ودفن في دار النابغة، واسمه الحارث بن إبراهيم بن سراقة العذري من بني النجار، وهم أخوال أبي عبد الله الذي هو (**عبد المطلب**) واسمه شيبة الحمد. وقيل له ذلك لأنه ولد وله شيبة في رأسه. أدخله مكة عمه المطلب من عند أخواله بني النجار مردِفُه عليه ثياب رثّة. فقالت قريش: من هذا؟ فقال: عبدي. فمضت عليه (عبد المطلب). توفي عبد المطلب وعمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمان سنين، واستسقى برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسقي، فلمّا حضرته الوفاة كفّل أبا طالب رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(و) عبد المطلب ابن (**هاشم**) واسمه عمرو العلا لعلو مرتبته، ولُقِّب بهاشم لهشمه الثريد للناس في مجاعة أصابتهم، وهو أي هاشم، ابنُ (**عبد مناف**) واسمه المغيرة، ومناف أصله منات ـ اسم صنم كان أعظم أصنامهم ـ وكانت أمه جعلته خادماً لذلك الصنم. وعبد مناف (ينتسب) إلى عدنان. ونسبه صلى الله عليه وآله وسلم إلى عدنان، يجب على كل مكلّف حفظه. هذا من جهة أبيه. ومن

جهة أمه إلى كلاب. ففي كلاب يجتمع فيه نسب أمه وأبيه. والنسب الواجب حفظه هو: (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان...).

واسم قصي: زيد، وقيل يزيد وقيل مجمِّع. وسمي قصياً لأنه قَصىٰ أي بَعُد عن عشيرته. وسمي مجمِّعاً لأنه يجمع قومه يوم العروبة أي الجمعة فيذكِّرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم، ويخبرهم بأنه سوف يُبعث فيه نبي. وبه جمع الله القوم من بني فهر بعد تفرقهم في البلاد. واسم كلاب: حكيم، ولقِّب بكلاب لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده بالكلاب. ولؤي: بالهمزة أكثر من عدمها. وفِهر: وهو مَجْمَع قريش عند الأكثر. فمَن كان من ولده فقرشي، ومَن لا، فلا. وفهر: اسمه ولقبه قريش، لأنه كان يقرش أي يُفَتِّشُ عن حاجة المحتاج فيسدها، والنَّضْر: اسمه قيس، ولقِّب بالنضر لنضارته وحسنه. ومُدركة: اسمه عمرو، ولقِّب بمدركة لأنه أدرك كلَّ عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً. وإلياس بهمزة قطعٍ مكسورة وقيل مفتوحة، وقيل همزة وصلٍ، ونُسب للجمهور. واسمه حسين وسمي إلياس لأنه ولد بعد كبر سن أبيه. واسم مُضَر بضمٍ ففتح عمرو، وكنيته أبو إلياس. وإنما قيل له ذلك لأنه كان يحب شرب اللبن الماضر أي الحامض. ونزار: واسم نزار خلذان، وإنما سمي بذلك لأنه لما

نظر أبوه إلى نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين عينيه فرح فرحاً شديداً ونحر وأطعم، وقال: هذا نزر ـ أي قليل ـ لحق هذا المولود.
ومَعَدّ: كنيته أبو قضاعة، وإنما قيل له ذلك لأنه كان مُعَدّاً للحروب.
وعدنان وهو من العَدْن أي الإقامة. وسمي بذلك تفاؤلاً بأنه يقيم ويَسلَم من أعين الجن والإنس، والتي أكثر من في القبور منها.

❊ ❊ ❊

فصل: في نسب أمه واسم من أرضعته

(و) يجب أن يعرف المكلف اسم ونسب (أمه) أي أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهي (آمنة الزهريه) بضم الزاي نسبة إلى جدِّها الثاني زُهْرة، وإلاّ فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب. وهنا يلتقي نسب أبيه وأمه عليه الصلاة والسلام.

ثم اعلم أن التي (أرضعه) وحذف تاء التأنيث للوزن، وهي (حليمة السعديه) أي المنسوبة إلى سعد بن بكر وهو اسم أبي قبيلة حليمة. فهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شحنة ابن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية بن نضر بن سعد بن بكر بن هوازن العبسي. أرضعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلبن ابنها عبد الله، وأقام عندها أربعة سنين، وهي أكثر من أرضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلاّ فقد أرضعه من النساء كما قيل ثمان، وقيل أكثر، أولهن أمه السيدة آمنة أرضعته ثلاثة أيام وقيل سبعة وقيل تسعة. ثم أرضعته ثويبة أياماً قلائل قبل قدوم حليمة، وهي مولاة أبي لهب، وعندما بشرته بمحمدٍ فرح وأعتقها فمن أجل ذلك يُخفف عنه العذاب كلَّ يوم اثنين.

وأما حليمة فهي أكثر إرضاعاً له كما تقدّم. وقد رأت منه من الخير والبركة عندما وضعته على حجرها لإرضاعه عليه الصلاة والسلام، ككثرة لبن ثدييها بعد قلته، وشربه من الثدي الأيمن،

وتركه الأيسر لأخيه من الرضاع، وسَبْق أتانها حين رجعت به عليها، بعد أن كانت مسبوقة، وغزارةُ لبن غنمها بعد عدمها. وفطمته حين مضى سنتان من عمره صلى الله عليه وآله وسلم.

* * *

فصل: في مكان ولادتِه ووفاتِه

ويجب على المكلف أن يعتقد أن (مولده) صلى الله عليه وآله وسلم (بمكة الأمينه) وهي أُم القرى، ولقَّبها بالأمينة لأمن الناس فيها في الجاهلية والإسلام. ولقد امتن الله على كفّار قريش بهذه النعمة وذكرهم إياها، حيث قال لهم: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ [قريش: ١-٤]. وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وقد جعلها الله حرماً آمناً إلى يوم القيامة، لا يُسفك فيها دمٌ، ولا يُظلم فيها أحدٌ، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلى خلاه. وقد اختار الله لولادة نبيه عليه الصلاة والسلام أفضلَ البقاع. واتفق الجمهور على أن أفضل البقاع مكة المكرمة. خلافاً لمالك القائل بأفضلية المدينة. وبعدَها في الأفضلية دارُ هجرته ومقر (وفاته) صلى الله عليه وآله وسلم. وقد كانت وفاته (بطيبة المدينه) والمدينة بدل من طيبة، وهو بدل كل من كل، وهما اسمان للمدينة. ولها أسماء كثيرة. ويجب على المكلف اعتقاد وفاته صلى الله عليه آله وسلم بالمدينة، وموضع قبره فيها في بيت عائشة. ولو أنكر منكِر مكان قبره كفر، وأنَّ قبرَه أفضلُ البقاع على الإطلاق.

* * *

ثـم اعلم أن الصحيح الذي عليـه الجمهـور أنـه صلى الله عليه وآله وسلم (**أتمَّ قبل الوحي أربعينا**) فمبعثه عليه الصلاة والسلام بعـد استكمال أربعين سنة. ولمّا قرُبت أيام الوحي، حَبَّب الله إليـه الخلوة. فكان يَختلي في غار حراء ويتعبد فيه، قيل بالذكر وقيل بالفكر. وكان لا يَرى رؤيـا إلاّ جـاءت مثـلَ فلَـقَ الصبح. وكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي، قيل مدتها ستة أشهر.

قال الحلبي في سيرته: فلمّا تم له أربعون سنة، جاءه جبريل بالنبوة وهو في غار حراء. فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء، فضمه حتى بلغ منه الجَهد ثم أطلقه، فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء، فضمه كذلك ثم أطلقه، فقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارىء، فضمه كذلك ثم أطلقه، فقال له: اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم. فانطلق صلى الله عليه وآله وسلم إلى خديجة يرجف فؤاده، وأخبرها الخبر فثبتته وأتت به ورقةَ بنَ نوفل ـ وكان ابنَ عمها ـ فأخبره أنه الناموس الذي نزل على موسى وطَمْأَنَهُ. ثم فَتَر عنه. ونزل عليه جبريل بسورة (يا أيها المُدَّثِّر) وتتابع الوحي. ونزولها ابتداءً رسالته صلى الله عليه وآله وسلم، فهي متأخرة عن نبوَّته بثلاث سنين، وقيل مقارِنةً لنبوته.

(و) اعلم أيها المكلف أن (عمره) عليه الصلاة والسلام **(قد جاوز الستينا)** سنة عند وفاته، فقد توفي صلى الله عليه وآله وسلم وعمره ثلاثٌ وستون سنة وثلاثة أشهر، كما تقدم. منها أربعين قبل البعثة. ومكث صلى الله عليه وآله بعد البعثة بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، باعتبار مجموعها، لأن مدة فترة الوحي وهي ثلاث سنين من جملتها، وهو الأصح. وأقام صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة عشر سنين وشهرين. ومات صلى الله عليه وآله وسلم يوم الإثنين مستهلَّ ربيعِ الأولِ، وله ثلاث وستون سنة وثلاثة أشهر، كما تقدّم.

تنبيه: ومما يجب أن يعتقده المكلف أيضاً، أنه صلى الله عليه وآله وسلم عربي، قرشي، أبيض مشرّبٌ بحمرة، ليس بالطويل ولا بالقصير، وأنه حي في قبره.

* * *

وسبعـــــةٌ أولادُه فمنهـــــمُ ثــلاثــةٌ مــن الــذكــور تُفهَــمُ

قـــــاســــمْ ... ...

فصل: في أولاده صلى الله عليه وآله وسلم

وينبغي للمكلف أن يعرف عدد أولاده عليه الصلاة والسلام وترتيبهم في الولادة (و) هم (**سبعة أولاده**) عليه الصلاة والسلام. والأصح عند العلماء أن أول مَن ولد القاسم وبه يكنى، ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم واسمها كنيتها في الإسلام، ثم وُلد عبد الله وكان يلقَّب بالطيب والطاهر. وكل هؤلاء وُلدوا بمكة من خديجة. ثم إبراهيم في المدينة من مارية القبطية. وقد فصّل ذلك الناظم. فقال: (**فمنهم ـ ثلاثة من الذكور تُفهم**) أي تُعلم. وأولهم (**قاسم**) وهو أكبر أولاده عليه الصلاة والسلام، وبه كان يكنّى كما تقدم. ويحرم التكنِّي به لمن سواه، سواءٌ في حياته صلى الله عليه وآله وسلم، أو بعد موته على الصحيح.

ولد رضي الله عنه بمكة قبل النبوة، قال في الخلاصة[١]: وعاش سبع عشرة سنة على الصواب. وهو أول من مات من ولده. ولمّا مات، قال العاصي بن وائل: لقد أصبح محمد أبتر: أي لا ولد له ذكَر، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ عِوضاً عن

---

(١) خلاصة التحفة السنية على الرسالة الباجورية للشيخ محمد النشار الشربيني الشافعي الخلوتي ص٥١.

مصيبتك بالقاسم. قال في الإصابة: وهذا يدل على أنه مات في الإسلام، فهو من الصحابة، خلافاً لمن قال: لا أعلم أحداً ذَكَرَهُ فيهم. وقيل نزلت الآية حين مات عبدالله. انتهى.

* * *

... وعبدُ الله وَهْوَ الطيِّبُ   وطاهرٌ بِذَيْنِ ذا يلقَّبُ
أتاهُ إبراهيمُ من سُرِّيَّهْ   فأُمهُ ماريةُ القبطيَّهْ

(و) ثانيهم (**عبد الله**) ووُلد بعد البعثة على الصحيح (**وهو الطيب ـ وطاهر بذين ذا يلقب**) أي أن عبد الله يلقب بالطيب والطاهر، فهما لقبان له. وهو غاية في الرد على مَن قال أنهما ابنان له بهذين الإسمين غير عبد الله. ومات عبد الله صغيراً بمكة.

والثالث منهم أشار إليه بقوله (**أتاه إبراهيم**) وكانت ولادته سنة ثمان من الهجرة وقَابِلتُه سلمى زوج أبي رافع، ولما بَشَّر زوجُها النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم به وهب له عبداً. وعقّ عنه يوم سابعه بكبشين، وسمّاه يومئذ، وتصدق بزنة شعره فضة، ومات سنة عشر. وقد بلغ سنةً وعشرةَ أشهر، ودفن في البقيع. وروي عن أنس رضي الله عنه قال: «ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يدخل عند إبراهيم فيأخذه ويُقَبِّلَهُ»[1].

ولما رأى عليه الصلاة والسلام إبراهيم يجَود بنفسه ذرفت عيناه. فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: وأنت يا رسول الله! فقال: إنها رحمة. تَبكي العينُ ويَحزن القلبُ ولا نقول ما يُسخِطُ الربَّ.

قال في الخلاصة: وفي يوم موته ـ وهو العاشر من الشهر، على الأَشهَر ـ انكسفت الشمس، مع أن الغالب أن الكسوف لا يقع

---

(١) صحيح مسلم، سنن البيهقي.

إلا في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين فعند ذلك قال الناس: كُسفت لموته. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته». وإبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أتاه **(من سُرِّيَّهْ)** والسُّرية بالضم مأخوذة من السر وهو النكاح، فالضم على غير قياس، فَرْقاً بينها وبين الحرة إذا نُكِحَت سِرّاً فإنه يقال لها سِرِّيَّة بالكسر على القياس **(فأمه)** أي سيدنا إبراهيم **(مارية القبطيه)** بنت شمعون، سُرِّية له صلى الله عليه وآله وسلم، أهداها له المقوقِس صاحب مصر والإسكندرية، وأهدى معها أختها سيرين وخَصِيّاً يقال له مأبور، وألف مثقال ذهباً، وعشرين ثوباً، وبغلة شهباء وهي دُلدُل، وحماراً أشهب وهو يعفور.

ووهب صلى الله عليه وآله وسلم أختَ مارية سيرين لحسان ابن ثابت الأنصاري، فهي أم عبد الرحمن بن حسّان. وتوفيت مارية رضي الله عنها في خلافة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان ذلك في المحرم سنة سِتَّ عشرةَ. وكان عمر رضي الله عنه يحشر الناس إلى جنازتها بنفسه وصلّى عليها.

❊ ❊ ❊

(وغير إبراهيم) الذي أتاه من مارية القبطية من أولاده المار ذكرهم (من خديجة) رضي الله عنها، وهي بنت خويلد. وهي أفضل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت أجمل أهل عصرها. وهي أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق. وهي أول نسائه، ولم يتزوج بغيرها حتى ماتت. وتزوجها وهي بنت أربعين سنة كما ذكروه، وفيما يظهر لي وهي بنت ثمان وعشرين سنة أو أكثر قليلًا. وإنما قلت ذلك، لأن من كان في حسبها ونسبها وجمالها ومالها لا تُنكَح إلا في سن مبكر، وربما تكون في السادسة أو السابعة عشرة من عمرها، ثم تزوجها الأول ثم الثاني، ولم تمكث معهما إلا قليلًا حتى فارقاها بالموت. ومَن مثلها لا يطول البقاء بها بغير من يطلبها، لما لها مما ذكرنا من أوصاف. فالتحقيق أنها تزوجته كما ذكرتُ وهي بنت ثمان وعشرين سنة. وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند أبي هالة هند بن النبّاش، فولدت له هندَ بنَ أبي هالة، خالَ الحسن والحسين وصّافَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم خلف عليها بعد أبي هالة، عتيق ابن عائذ بن عبد الله المخزومي. فولدت له جارية يقال لها هند، وهي خالة الحسن والحسين، وربيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وكانت تُدعىَ في الجاهيلة بالطاهرة، لشدة عفافها وصيانتها. ويدل على فضلها قوله صلى الله عليه وآله وسلم، لمّا قالت عائشة رضي الله عنها: قد رزقَكَ الله خيراً منها. فقال: «لا والله ما رزقني

الله خيراً منها، آمنَتْ بي حين كفر بي الناس، وصدقت بي حين كذبني الناس، وأعطتني مالها حين حرمني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، ورُزقَتْ مني الولد إذ حُرِمْتُمُوه».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل نساء أهل الجنة: خديجةُ بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بُنت عمران وآسيا بنت مزاحم»[١]. وماتت رضي الله عنها قبل هجرته بثلاث سنين ودفنت بالحجون. ولها خمس وستون سنة. وهذا على ما ذكروه من أنّ عمرها أربعون سنة عند تزوِّجها به، عليه الصلاة السلام.

فائدة: قال في نور الظلام[٢]: سئل الإمام أبو بكر ابن الإمام المجتهد داوود: أخديجة أفضل أم عائشة؟ فقال: عائشة أَقرأَها النبي صلى الله عليه وآله وسلم السلام عن جبريل من قِبَل نفسه، وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فهي أفضلهن. فقيل له من أفضل؟ أخديجة أم فاطمة؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فاطمة بضعة مني، فلا أساوي ببضعة رسول الله أحداً. قال السهيلي: وهذا أحسن وأتقن. انتهى.

وكان سيدنا مالك بن سنان يقول: لا أفضِّل على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحداً. وهو الذي يجب اعتقاده ونلقىٰ الله تعالىٰ عليه، إن شاء الله تعالىٰ. انتهى.

---

(١) مجمع الزوائد.

(٢) نور الظلام لنووي جاوي ص١٢٩-١٣٠.

(**هم ستة**) أي أولاده صلى الله عليه وآله وسلم من السيدة خديجة رضي الله عنها وعنهم (**فخذ بهم وليجة**) أي هي كوسيلة أَيْ ملجأً ومَدْخلًا، وذلك بمحبتهم إلى الممات في الظاهر والباطن، بمعرفتك إياهم. لأنه مما يُندب معرفته إن قلنا إن ذلك مندوب، أو واجب إن قلنا بالوجوب. والأول هو الأولى.

* * *

وأربــعٌ مِــنَ الإنــاثِ تُــذْكَــرُ　　　رضــوانُ ربــي للجميــع يُــذْكَــرُ

وقد ذكر أولاً أن عدد أولاده سبعة، ففصل بعد ذلك وذكر أن أولاده الذكور ثلاثة **(وأربع من الإناث تذكر)** تكملة لعدد أولاده عليه الصلاة والسلام **(رضوان ربي للجميع يذكر)** دائماً عند ذكرهم وبهذا أشار إلى أن كلَّ أولاده عليه الصلاة والسلام صحابةٌ بما فيهم القاسم، على الصحيح من أنه مات بعد البعثة.

* * *

فإذا أردتَ معرفةَ أسماء بناته صلى الله عليه وآله وسلم، فأقول لك: أولهن (فاطمة) وقدَّمها الناظم هنا لكونها أفضل نساء العالمين كما تقدم. وإلاّ فولادتها متأخرة. ولدت سنة إحدى وأربعين من مولده صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل: قبل النبوة بخمس سنين. وتزوجها علي وهو ابن إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر، وهي بنت خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، عقب رجوعهم من بدر، وعليه تكون ولادتها قبل النبوة بسنة، وقيل ما تقدم، وتوفيت بعد أبيها بستة أشهر - على الصحيح - ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة. ودفنها عليٌّ ليلاً.

وفاطمة - كما قال ابن دُرَيد[1] - مشتقة من الفَطْم وهو القطع، أي المنع... سميت بذلك لأن الله تعالىٰ فطمها عن النار، كما وردت به الأخبار... فهي فاطمة بمعنى مفطومة. وقد كان خطبها - قبل علي - أبو بكر ثم عمر فأعرض صلى الله عليه وآله وسلم عنهما، فلما خطبها علي أجابه، وجعل صداقَها درعَه ولم يكن له غيرها، وبيعت بأربعمائة درهم وثمانين درهماً وجعل لها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسادة من أَدْمٍ حشوها ليف، وملأ البيت رملاً مبسوطاً، وأعطاها إهاب كبش تفرشه، وخميلة وسقاء وجرتين، كما جاءت بذلك الروايات. وفي حديث مسلم عن جابر قال:

(١) إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين للشيخ محمد بن علي الصبان وهو بحاشية نور الأبصار ص٩١.

حضرنا عُرْسَ عليٍّ بن أبي طالب وفاطمةَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فما رأينا عرساً أحسنَ منه. هيأ لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زبيباً وتمراً. . ، وأرسل صلى الله عليه وآله وسلم لعلي ـ بعد زفاف فاطمة له ـ يقول له: لا تقربَنَّ أهلك حتى آتيكما. فجاء فدعا بإناء فسمّى فيه، وقال ما شاء الله أن يقول. ثم مسح صدر علي ووجهه، ثم دعا فاطمة، فقامت تعثر في مرطها من الحياء، فنضح عليها من ذلك. . . ، ولم يتزوج عليها عليٌّ حتى ماتت. وقد كان خطب عليها بنتَ أبي جهل، فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: «والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً»[1]. فترك عليٌّ الخِطبة. وقد ولدت السيدة فاطمة من سيدنا علي رضي الله عنهما ستةً، ثلاثةَ ذكور وثلاث إناث.

فالذكور الحسن والحسين والمُحَسِّن بضم الميم وفتح الحاء وتشديد السين مكسورة.

والإناث زينب وأم كلثوم ورقية وقد ماتت ولم تبلغ.

وأما الحسن والحسين فقد أعقبا الكثيرَ الطيب. وسوف يأتي الكلام عليهما عند ذكر الناظم لهما، وأما المحسن فأُدرِج سِقطاً، وأما زينب فتزوجها ابن عمها عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فولدت علياً وعوناً الأكبر وعباساً ومحمداً وأمَّ كلثوم.

---

(١) صحيح البخاري ومسلم وسنن أبي داود، ابن ماجه.

وأمّا أم كلثوم بنت فاطمة فتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولدت له زيداً ورقية ولم يُعِقبا. وتزوجها من بعده ابن عمها عون بن جعفر بن أبي طالب فمات معها. ثم تزوجها بعده أخوه محمد فمات معها. ثم تزوجها بعده أخوه عبد الله فماتت عنده. ولم تلد لهؤلاء الثلاثة أحداً.

وتسمى السيدة فاطمة بـ (الزهراء) لحسنها وإضاءة وجهها. وقيل لكونها لم تحض وهو المشهور. وتسمّى أيضاً بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلًا وديناً وحسباً، أو لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالىٰ.

قوله (بعلها) أي زوجها (علي) بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم، رابع الخلفاء الراشدين، وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمِّه وصهره وناصره، وأحد العشرة وإمام البررة وقاتِل الكفرة والفجرة. المكنِى بأبي تراب المسمى بحيدرة، يحبه الله ورسوله ويحب اللهَ ورسولَه، ولا يحبه رضي الله عنه إلاّ مؤمن، ولا يُبغِضه إلاّ منافق.

ولد بمكة في البيت الحرام لثلاثَ عشرة ليلةً خلت من رجب بعد ثلاثين سنة من عام الفيل. وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف. تجتمع مع أبي طالب في هاشم جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. أسلمت وهاجرت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً. ولمّا ماتت كفّنها صلى الله عليه

وآله وسلم بقميصه لأنها كانت عنده بمنزلة أمه. وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسودَ فحفروا قبرها بالبقيع، فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده وأخرج ترابه، فلما فرغ اضطجع فيه وقال: اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد.

وتربى الإمام علي رضي الله عنه عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وهو أول من آمن به من الفتيان، وكان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة. وبات في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة وفداه بنفسه، وشهد المشاهدَ كلها ولم يتخلّف إلاّ في تبوك بأمر منه صلى الله عليه وآله وسلم، فقال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم: أَتُخَلِّفُنِي في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنه لا نبي بعدي[1].

وضُرب رضي الله عنه لسبعةَ عشرة ليلةً خلت من رمضان سنة أربعين. وقُبِض ليلة إحدى وعشرين. قتله أشقى الآخِرين عبد الرحمن ابن ملجم المُرادي ـ الخارجي ـ لعنه الله، ونادى مَلَكٌ يوم بدر (لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلاّ علي) رضي الله عنه وأرضاه.

(وابناهما) أي أبناء السيدة فاطمة الزهراء والإمام علي رضي الله عنهم **(السبطان)** أي سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١) أخرجه الشيخان.

وهما الحسن والحسين (فضلهم) أي سيدنا علي والسيدة فاطمة الزهراء والإمام الحسن والإمام الحسين رضي الله عنهم أجمعين (جلي) أي واضح كوضوح الشمس في رابعة النهار.

ولد الإمام الحسن[1] سنة ثلاثٍ للهجرة في النصف من شهر رمضان. وعقَّ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكبش، وحلق رأسه ورأس الحسين أيضاً، وتصدق بوزن شعرهما فضةً على المساكين. وفيها علقت فاطمة بالحسين. وقيل: كان بين ولادة الحسن وعلوق فاطمة بالحسين خمسون ليلة....

وأهدى جبريل عليه السلام اسم الحسن في سَرَقة من حرير الجنة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. واشتق اسم الحسين من اسم الحسن فكان صلى الله عليه وآله وسلم يُسَمِّي الحسن شبهاً باسم ولد هارون بن عمران.

وكان الحسنُ أشبهَ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من رأسه إلى صدره، والحسين أشبه به من صدره إلى رجله. وكان فوق الرَّبعة ودون الطويل. وبويع في شهر رمضان سنة أربعين بعد قتل أبيه، وخوطب بإمرة أمير المؤمنين. وصالح معاوية لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين. وكان مقامه على الإمرة

(١) انظر الشجرة النبوية في نسب خير البرية والذي أتمها يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدسي.

ستة أشهر وعشرين يوماً ـ وبإمرته ختمت الخلافة الراشدة ـ وسُمَّ فاشتكى أربعين يوماً. ومات رضي الله عنه شهيداً في ربيع الأولِ سنة تسع وأربعين. . . ، ودفن بالبقيع مع أمه السيدة فاطمةً رضي الله عنهما.

وولد الإمام الحسين رضي الله عنه سنة أربع وقيل سنة ثلاث للهجرة. وعلقت فاطمة به بعد أخيه الحسن. . . ، وعقَّ عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما عقَّ عن أخيه. وكان الإمام الحسين أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صدره إلى رجله.

وقتل رضي الله عنه يوم الجمعة لعشر خلون من محرم سنة إحدى وستين، بموضع يقال له ـ كربلاء ـ من أرض العراق بناحية الكوفة. ويعرف الموضع أيضاً بالطَّفِّ قتله سنانُ بن أنس النخعي وهو جَد شريك القاضي. وحزَّ رأسه شمّر بن ذي الجوشن الضبابي وكان شمّر أبرصَ. وأميرُ ذلك الجيش (الذي أمر بإخراجه للحسين ومن معه، زياد بن أبيه، والي يزيد بن معاوية على العراق، بأمر يزيد) عمرُ بن سعد بن أبي وقاص. . . .

فصل: فيما يجب على المكلف تجاه أهل البيت

ومما يجب التنبه إليه وأشار إليه الناظم إيماءً في قوله (فضلهم جلي) ما يجب على المكلف تجاه أهل البيت. وقد تقدم أن أهل البيت هم أهل الكساء وهم سيدنا علي والسيدة فاطمة والحسن والحسين وما تناسل منهما إلى يوم القيامة. فيجب على المكلف هنا أن يؤمن أولاً بوجود أهل البيت، وأنهم باقون إلى يوم القيامة،

وأن بقاءهم أمن وأمان لأهل الأرض على الإطلاق. والدليل على بقائهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الذي رواه الترمذي: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يَردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» وهو عند مسلم وغيره برواياتٍ متقاربة وطُرُقُه كثيرة جداً. وأما كونهم أمان لأهل الأرض على الإطلاق فقد قال عليه الصلاة والسلام: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي من الخلاف فإذا ذهبت النجوم ذهبت السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهبت الأرض» ومن هنا يظهر أن المكلف يجب أن يعتقد اعتقاداً جازماً بأن أهل البيت موجودون إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. حيث دل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» أي القرآن وأهل البيت. ويظهر أيضاً في الحديث أنهم ثقل الكفة الثانية الموازية والملازمة للكفة الأولى وهي القرآن. وأن أية مسألة يكون فيها اختلاف فما مال إليه أهلُ البيت كان فيه الحق لأن مَن لازَمَهُ القرآن وكان هو ثَقَلًا حافظاً للأمة لا يتعداه الحق والصواب. ومما يظهر أيضاً خصوصية هذه الأمة على سائر الأمم حيث بقيت فيهم بَضْعة نبيهم ببقاء نسلِهِ إلى يوم القيامة. ولو قال قائل: كيف يكونون نسلَهُ عليه الصلاة والسلام وهم ليسوا من صُلبه بل من صلب علي رضي الله عنه. نقول قد أجاب على ذلك عليه الصلاة والسلام فقال: «إن

الله تعالى جعل ذريةَ كلٍّ نبيٍّ في صُلبه وجعل ذريتي في صُلب علي ابن أبي طالب». أخرجه الطبراني في الكبير عن جابر، والخطيب عن ابن عباس. وإنما ذكرت هذا لجهل كثير من الناس عن الثَّقَل الثاني الذي تركه لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. أو تجاهُلِهم به رغم أنهم الكثيرُ الطيِّبُ الذين مَلَئُوا مشارق الأرض ومغاربها، وحملوا فيها منارات الهدى وبَدَّدوا ظلماتِها، وحملوا راية جدهم ودعوا إلى الله على هدىً وبصيرة. وما هذه الكثرة إلا ببركة دعوة جدهم حيث قال عند زفاف الإمام علي والسيدة فاطمة «اللهم أخرج منهما الكثيرَ الطيِّبَ». وإذا تقرر عندك أخي المكلف مَن هم أهل البيت وعَرَفْتَهمُ، فيجب عليك محبتُهم واحترامُهم وعدم إيذائِهم فإنه لا إيمان لمن لا يُحِبُّهم ولا دين لمن يُبغِضهم. وأما دليل ذلك ما أخرجه ابن ماجهْ عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم. والذي نفسي بيده لا يدخل قلبَ امرىءٍ الإيمانُ حتى يُحِبَّهم لله ولقرابتي». وفي رواية: «لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ورسوله». وفي وجوب محبتهم واحترامهم نزل قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]. قالوا يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم؟ قال عليه الصلاة والسلام: «فاطمة وولداها». وأخرج الإمام أحمد وابن ماجهْ والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من أحب الحسن والحسين

فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني» وأخرج ابن عَدِيٍّ والديلمي، عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أثبتُكم على الصراط أشدُّكم حباً لأهل بيتي» والأحاديث في محبتهم ومودتهم كثيرة. وأما الدليل على عدم إيذائهم وأن من آذاهم متوعَّد بالعقوبة، ما رواه الترمذي وابن ماجهْ والحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا حرب لمن حاربهم وسِلْم لمن سالمهم». وأخرج الطبراني وابن منده والبيهقي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو يخطب على المنبر: « ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي أَلَا مَن آذىٰ نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». وأخرج الديلمي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن أحبَّ الله أحبَّ القرآنَ ومن أحب القرآن أحبني ومَن أَحبني أحب أصحابي وقرابتي» وأخرج المُلَّا في سيرته «لا يُحِبُّنا إلاَّ مؤمن تقي ولا يبغضنا إلاَّ منافق شقي».

وأما وجوب إكرامهم والتجاوز عن مسيئهم والتغاضي عن هفواتهم واحتمال جهل جاهلهم إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمما ينبغي ويجب على المكلف الاعتناءُ به لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «. . . أُذَكِّركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي». ولقوله أيضاً: «. . . فانظروا كيف تخلفوني فيهما» أي في القرآن وأهل البيت. ولذلك كان ديدنُ العلماءِ العاملين والأولياءِ الصالحين لزومَ محبةِ أهلِ

البيت وقد ذكر شيخنا العلامة عبد الرحمٰن الكاف في كتابه الجراب كلاماً لأهل العلم في هذا المضمار حيث قال: قال ابن الفارض رحمه الله:

ذهب العمرُ ضَياعاً وانقضى ... باطلًا إذْ لم أَفُزْ منكم بشيْ
غير ما أوليت من عَقْدِ وَلاء ... عِترةِ المبعوث حقاً من قصي

وقال محي الدين ابن العربي:

جعلت وَلائِي آلَ أحمدَ قربةً ... على رغم أهل البعد يُورثني القُربى
وما طلب المُختارُ أجراً على الهدى ... بتبليغه إلاَّ المودة في القربى

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

آل النبي ذريعتي ... وهمو إليه وسيلتي
أرجو بهم أُعطى غداً ... بيدي اليمين صحيفتي

وقال أيضاً:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم ... من لا يصلي عليكم لا صلاة له

وقال رضي الله عنه:

إذا في مجلس نذكرْ علياً ... وسِبْطيهِ وفاطمةَ الرضيَّه
يُقال تجاوَزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضيَّه
بَرئتُ إلى المهيمن من أُناس ... يَرَوْن الرفضَ حُبَّ الفاطميَّه

تنبيه:

ويجب على أهل البيت أن لا يغتروا بالنسب، كما قال الإمام الحداد:

ثـــم لا تغتـــر بـــالنســـب لا ولا تقنـــع بكـــان أبـــي
واتَّبِـع فـي الهـدي خَيْـرَ نبـي أحمـد الهـادي إلـى السَّنـن

فعليهم أن يبتعدوا عن المدنسات وأن يترفعوا عن السفاسف والإنزلاق في البدع المُردِية كبدعة الرافضة والمجسِّمة وغيرها مما يَشين ويعيب والله الهادي إلى سواء السبيل.

❊ ❊ ❊

فــزينــبٌ وبعــدَهــا رقيَّــهْ وأُمُّ كلثــومٍ زَكَــتْ رَضِيَّــهْ

(فـ) الثانية من بناته صلى الله عليه وآله وسلم (زينب) وتزوجها ابن خالتها العاص بن ربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ابن عبد مناف، وأمه هالة بنت خويلد. فولدت له علياً وأُمامة. فأما علي فأردفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وراءه يوم الفتح، ومات مراهقاً.

وأما أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة. وتزوجها بعد علي، المغيرة بن نوفل بن الحٰرث بن عبد المطلب بوصية من علي. فولدت له يحيى بن المغيرة، وماتت عنده. وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحب أمامة حباً كثيراً، حتى حملها في الصلاة.

وُلدت السيدة زينبُ بنتُ محمد صلى الله عليه وآله وسلم سنة ثلاثين من مولده صلى الله عليه وآله وسلم، وماتت سنة ثمان من الهجرة (**وبعدها** رقيه) وهي الثالثة من بناته صلى الله عليه وآله وسلم. وتزوجها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، قيل في الجاهلية وقيل بعد إسلامه، وهاجر بها هجرتي الحبشة. ووَلَدَتْ له عبدَ الله، مات بعدها وقد بلغ ست سنين. نقَرَهُ ديك في عينه فورم وجهه فمات. وُلِدت رضي الله عنها سنة ثلاث وثلاثين من مولده صلى الله عليه وآله وسلم، وماتت يوم قدوم زيد بن حارثة بشيراً بقتلى بدر من المشركين. (و) الرابعة من بناته عليه الصلاة والسلام

(أم كلثوم) قد (زكت) أي نمت (رضيه) وتزوجها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد موت السيدة رقية رضي الله عنها، ولهذا سمي بذي النورين، وماتت عنده. وقال عليه الصلاة والسلام: «لو كانت عندي ثالثة لزوجتها عثمان»، وفي رواية: «لو كانت لي عشر لزوجتهنَّ عثمان».

تتمة: بعد ما مر من ترجمة للإمام علي رضي الله عنه وهو رابع الخلفاء الراشدين، كان لا بدّ من ترجمة لبقية الخلفاء الراشدين الثلاثة. وهم: خليفته على التحقيق سيدنا أبو بكر الصديق وهو الخليفة الأول. وثانيهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وثالثهم ذو النورين عثمان بن عفّان. ورابعهم سيدنا علي بن أبي طالب. وقد تقدمت ترجمته.

وترتيبهم في الأفضلية كترتيبهم في الخلافة.

وهذه ترجمة لكل منهم مأخوذة من كتاب الشجرة النبوية في نسب خير البرية[١].

١ ـ أبو بكر (عتيق) بن أبي قحافة (عثمان) بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعيد بن تَيْم بن مرة بن كعب، صهرُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصاحبه في الغار، وحبيبه وصديقه. بويع يوم قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سقيفة بني ساعدة

---

(١) انظر ص٣٩-٤٠.

الخزرجي، وله ستون سنة وأشهر. وكانت خلافته ثلاث سنين وعشرين يوماً. قُبض يوم الإثنين لعشر بقين من جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث عشرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة وأشهر. وصلّى عليه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه. ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها. وقيل: إنه سُمَّ في خزيرة، وأنه أول خليفة مات بالسم. ذكر ذلك الكلبي رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

٢ ـ عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي. حليف المحراب، الناطق بالصواب، الذي أعز الله به النبيَّ وصحبَه، وأذل به الشيطان وحزبَه. وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. وروي عنه أنه قال: ولدت قبل حرب الفجار الأعظم بأربع سنين. بويع له بالخلافة يوم مات أبو بكر رضي الله عنه بوصيته فيه بذلك، لثلاث عشرة بقين من جمادى الآخرة، وله اثنتان وخمسون سنة وأشهر. وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام. قتله أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، لعنه الله. وكان ذلك يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وصلى عليه صهيب الرومي رضي الله عنه، ودفن مع النبي في بيت عائشة رضي الله عنها. ومنذ قتل تضعضع الإسلام. رضي الله عنه وعن جميع الصحابة أجمعين.

٣ ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي. أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها أم الحكم البيضاء عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وعثمان صهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأحد العشرة، ومن استحيت منه ملائكة السماء، وجهز جيش العسرة، وفضائله أكثر من أن تُذكر. بويع له بالخلافة يوم الأربعاء مستهلَّ محرمٍ سنة أربع وعشرين، وله تسع وستون سنة، بعد وفاة عمر ـ رضي الله عنه ـ بثلاثة أيام. وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وتسعة وعشرون يوماً سوى ثلاثة أيام الشورى. وقُتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلةً خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وله إحدى وثمانون سنة وقيل أكثر. والذي قتله عبد الرحمن ابن عديس المصري من تجيب، وقُتل والمصحف في حجره فطار دمه على المصحف رضي الله عنه وعن كل الصحابة أجمعين.

* * *

فصل: فيما يتعلق بزوجاته عليه الصلاة والسلام

واعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فارق الدنيا **(عن تسع نسوة)** أي زوجاته وكانت **(وفاة المصطفى)** عنهن بعد أن **(خيرن)** في حياته بين متعة الدنيا وطلاقه إياهن، وبين البقاء عنده صلى الله عليه وآله وسلم والدار الآخرة. والتخيير حصل عندما طلبن منه صلى الله عليه وآله وسلم ما ليس عنده من زينة الدنيا فنزل قول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩] فلما نزلت هذه الآية خَيَّرهن عليه الصلاة والسلام **(فاخترن النبي المقتفى)** أي فاخترن هؤلاء الأزواج التسع الآخرة على الدنيا باتباع النبي المتبع، لأن المقتفى معناه المتبع، والتخيير هذا لنسائه عليه الصلاة والسلام من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الشيخ محمد نووي جاوي[1]: أي إن التخيير على النساء في نفسه صلى الله عليه وآله وسلم بين مفارقته لهن طلباً للدنيا، والإقامة معه طلباً للآخرة، واجب عليه صلى الله عليه وآله وسلم. والتزوج أكثر من أربع إلى غير نهاية جائز له صلى الله عليه وآله

---

(١) انظر نور الظلام ص١٣٥-١٣٨.

وسلم لأنه مأمون من الجور. وكانت الزيادة على تسع حُرِّمت بقوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ ﴾ [الأحزاب: ٥٢] ثم نسخ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ. . . ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٠].

لكن لم يقع منه تزوج بعد النهي عن الزيادة عليها. ومن الخصائص أيضاً عَقْدُه صلى الله عليه وآله وسلم بلا ولي وبلا شهود وبلا مهر، ابتداءاً وانتهاءاً. وجملة ما خُصَّ به صلى الله عليه وآله وسلم أربعة أنواع:

(**أحدها**) المباحات أي التخفيفات منها: إباحة الوصال وهو أن يُوْصِل صوم النهار بإمساك الليل مع صوم الذي بعده من غير أن يطعم شيئاً. ويقضي بعلمه ويحكم ويشهد لنفسه وفرعه، وعلى عدوه. وتجوز له الشهادة بما ادعاه وله أخذ طعام غيره إن احتاج إليه، ويجب إعطاؤه له. ولا ينتقض وضوؤه بالنوم. وأكثر هذه المباحات لم يفعله.

(الثاني) المحرمات منها: تحرم صدقة التطوع عليه، وتحريم خَطٍّ وشِعرٍ، ومد العين إلى متاع الناس، وخائنة الأعين، وهي الإيماء بما يظهر خلافه من مباح، دون الخديعة في الحرب، والمن أي الإعطاء ليستكثر.

(الثالث) الواجبات منها: وجوب الضحى، والوتر، والأضحية، والسواك لكل صلاة، والمشاورة، وتغيير منكر رآه وإن خاف، وإن

علم أن فاعله يزيد فيه عناداً، على المعتمد، ومصابرة العدو وإن كثر، وقضاء دين مسلم مات معسراً، وزاد في العباب: وجوب راتبة الصبح.

(الرابع) الفضائل والإكرام منها: أن النكاح في حقه عبادة مطلقاً، بخلافه في حقنا فإنه مباح، والعبادة عارضة له. وتفضيل نسائهِ على سائر النساء، وثوابهن وعقابهن مضاعف، وهن أمهات المؤمنين إكراماً فقط، كالإكرام في الأبوة للرجال والنساء، وتحريم سؤالهن إلاّ من وراء حجاب، ذكر ذلك الشرقاوي ثم قال: فهو صلى الله عليه وآله وسلم خاتِم النبيين، وسيدُ ولد آدم أجمعين، وأول من تنشق الأرض عنه يوم البعث، وأول من يقرع باب الجنة، وأول شافع وأول مشفَّع بفتح الفاء، أي مقبول الشفاعة. وأمته خير الأمم، وشريعته مؤبَّدة ناسخة لغيرها، ومعجزاته باقية وهي القرآن، وجعلت له الأرض مسجداً وترابها طهوراً، أي تصح الصلاة في سائر بقاع الأرض. ويجوز التيمم بالتراب في شريعته خاصة، ولم يورِّث، وتَرِكته صدقة على المسلمين، وأُرسل إلى الإنس والجن والملائكة، وهو أكثر الأنبياء أتباعاً، وكان لا ينام قلبه، ويرى مَن خلفَه، وتطوعه قاعداً كتطوعه قائماً، ولا تبطل صلاة من خاطبه بالسلام، وتجب إجابته في الصلاة ولا تبطل بها ولو فعلاً كثيراً، ويحرم رفع الصوت فوق صوته، ونداؤُه من وراء الحجرات ونِداؤُه باسمه نحو: يا أحمد، ويا محمد، ونحو ذلك. بل يقال يا رسول الله ونحوه. والتكني بكنيته مطلقاً على المذهب

وهي أبو القاسم، أي فلا يجوز ذلك عند الشافعي سواء كان اسمه محمداً أو لا ، وسواء قبل مفارقته صلى الله عليه وآله وسلم للدنيا أو بعدها. وعند الأئمة الثلاثة يجوز ذلك بعد مفارقته للدنيا، وتحل له الهدية مطلقاً. ولا يجوز الجنون على الأنبياء بخلاف الإغماء. ولا الإحتلام لأنه من تلاعب الشيطان، ورؤيتُه في النوم حق، ولا يُعمل بها في الأحكام لعدم ضبط النائم. ولا تأكل الأرض لحوم الأنبياء. والكذب عليه عمداً كبيرةٌ. ونبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وآله وسلم. وصلى بالملائكة ليلة الإسراء. ولا يجوز عليه الخطأ. ويبلغه سلام الناس بعد موته. ويشهد لجميع الأنبياء بأداء رسالتهم يوم القيامة. وكان إذا مشى في الشمس والقمر لا يظهر له ظل. ولا يقع عليه الذباب، ولا يمتص دمه البعوض. وكل موضع صلى فيه وضُبِط موقفه امتنع الاجتهاد فيه يمنة ويسرة. . ووجوب الصلاة عليه في التشهد الأخير. وعُرِض عليه جميع الخلق من آدم إلى من بعده. وكان لا يتثاءب، ولا يظهر منه الغائط بل تبتلعه الأرض. ومن كان في قلبه حرج في حكمه عليه يكفر به. ولم يُصَلَّ عليه جماعةً بل صلى الناس عليه أفذاذاً، صلى الله عليه وآله وسلم وزاده فضلاً وشرفاً لديه.

* * *

عـــائشـــةٌ وحفصـــةٌ وسَـــودَهْ　　صفيـــةٌ ميمـــونـــةٌ ورَملَـــهْ
هنـدٌ وزينـبٌ كـذا جُـوَيْـرِيَـهْ　　للمـؤمنيـن أمهـاتٌ مَـرْضِيَـهْ

فإذا أردت معرفة الأولى من التسع الذي توفي عنهن فأقول لك **(عائشة)**[١] بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها، تزوجها في شوّال سنة اثنتي عشرة من النبوة على قول، وكانت بنت سبع على قول، وبنى بها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على قول، وهي بنت تسع، وقبض عنها وهي بنت ثمانَ عشرة. ولم يتزوج بكراً غيرها. وكانت أحبَّ نسائه إليه بعد خديجة. ومناقبها كثيرة: كانت تكنّى بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير، توفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين، وصلّى عليها أبو هريرة رضي الله عنهما، ودفنت بالبقيع ليلاً، وقد قاربت سبعاً وستين سنة.

(و) الثانية **(حفصة)** بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، تزوجها في شعبان على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة على الأشهَر. وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين، وتوفيت في شعبان سنة خمس وأربعين، وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ. وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم طلّقها، لأنها أفشت أمراً أسره إليها صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة، وكان بينهما مصافاة،

---

(١) قد اعتمدت في ترجمة زوجاته التسع على كتاب إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وآل بيته الطاهرين للشيخ محمد بن علي الصبّان.

فنزل عليه جبريل وقال له: «راجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة، وإنها زوجتك في الجنة»[1] وفي رواية أخرى (طلق صلى الله عليه وآله وسلم حفصة، فبلغ ذلك عمرَ فحثا على رأسه التراب وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها. فنزل جبريل وقال له: إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لِعمر)[2]. وقال جماعة لم يطلقها بل هَمَّ بتطليقها فقط، فعليه يراد بمراجعتها مصالحتها والرضى عنها.

والثالثة (سوده) بنت زمعة، تزوجها في السنة العاشرة من النبوة كانت تحت ابن عمها السكران ابن عمرو. وأسلم معها قديماً وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، فلما مات تزوجها صلى الله عليه وآله وسلم. ولما كبرت عنده أراد طلاقها، فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة فأمسكها. ماتت في خلافة عمر على المشهور.

والرابعة (صفية) بنت حُيَيٍّ بن أخطب من سبط هارون بن عمران عليه السلام، كان أبوها سيد بني النَّضِير فقُتل مع بني قريظة. اصطفاها صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه من سَبْي خيبر، فأعتقها وتزوجها، وجعل عِتْقَها صَداقها. وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة، ماتت في رمضان سنة خمسين أو اثنتين وخمسين، ودفنت بالبقيع.

---

(١) مجمع الزوائد، المستدرك للحاكم.

(٢) مجمع الزوائد، المعجم الكبير للطبراني، سير أعلام النبلاء.

والخامسة (ميمونة) بنت الحٰرث، تزوجها في شوال سنة سبع وهو مُحْرِم في عمرة القضاء، كما عليه الجمهور. وكان اسمها بَرَّة فسماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميمونة، كراهيةَ أن يقال خرج من عند بَرَّة. ماتت سنة إحدى وخمسين، وقد بلغت ثمانين سنة. وهي آخر من تزوج بها صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر من توفي من أزواجه. وقال ابن شهاب: هي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(و) السادسة أم حبيبة (رملة) بنت أبي سفيان صخر بن حرب، هاجرت معه مع زوجها عبيدِ الله بن جحش إلى الحبشة الهجرة الثانية. فولدت له حبيبةَ وتَنَصَّر هو، وثبتت هي على الإسلام. فبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عمرَو بن أمية الضمريَّ إلى النجاشي فزوجه إياها ـ أي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأمهرها عنه أربعمائة دينار، وتولى عقد نكاحها خالد بن سعيد بن العاص لكونه ابن عمها، وأرسلها النجاشي إليه سنة سبعٍ، على خلاف في جميع ذلك. ماتت سنة أربع وأربعين.

والسابعة أم سلمة (هند) بنت أبي أمية بن المغيرة، تزوجها في آخر شوال سنة أربع، ولما أرسل إليها صلى الله عليه وآله وسلم يخطبها قالت مرحباً برسول الله. إن فيّ خلالاً ثلاثة: أنا امرأة شديدة الغَيرة، وأنا امرأة مصبية، وأنا امرأة ليس لي أحد من أوليائي. فأتاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها: أما ما ذكرتِ من

غَيرَتِكِ فإني أرجو الله أن يذهبها، وأما ما ذكرت من صبيتك فإن الله سيكفيهم، وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني. فقالت لابنها: زوِّج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فزوّجه بها. واستُدِل به على أن الإبن يلي عقد أمه، وهو خلاف مذهبنا معاشر الشافعية. ودُفِع بأنه إنما زوَّجها بالعصوبة لأنه ابن عمها. وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاها التربة التي أحضرها له جبريل عليه السلام من كربلاء، عندما أخبره أن الحسين يُقتل هناك وطلب منه أن يُرِيَهُ أرضها فأراه إياها، وأحضر له من تربتها، فدفعها لأم سلمة فوضعتها في قارورة، وأخبرها أنه إذا صارت دماً فهي علامة على قتل الحسين عليه السلام. فانتبهت ذات يوم وقد أصبحت التربة التي في القارورة دماً. فقالت لجاريتها: إذهبي إلى السوق وانظري الخبر. فأتت الجارية وقالت لها: قُتل الحسين بن علي رضي الله عنه. وتوفيت رضي الله عنها في خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح. وقد بلغت أربعاً وثمانين سنة. وصلّى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وقيل سعيد بن زيد. ودفنت في البقيع.

(و) الثامنة (زينب) بنت جحش، بنت عمته صلى الله عليه وآله وسلم أميمة، وكان اسم زينب برّة، فسماها صلى الله عليه وآله وسلم زينب لما تقدَّم. وكانت قبلَه عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها، فلمّا حلّت زوَّجه الله إياها سنة أربع على أحد الأقوال، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة، بقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧] وكانت تفخر على نسائه صلى الله عليه

وآله وسلم بقولها إن آباءكن أنكَحُوكُن، وإن الله تعالىٰ أنكحني إياه من فوق سبع سماواته، وفيها نزل الحجاب. وهي أول نسائه لحوقاً به، كما أشار إلى ذلك الصادق المصدوق. ففي مسلم عن عائشة رضي الله عنها: إن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلن له: أينا أسرعُ بك لحوقاً؟ قال: «أطولُكُن يداً». فكانت أسرعَهن لحوقاً به زينبُ بنت جحش. فعلموا أن طول يدها بسبب أنها كانت تعمل وتتصدق كثيراً. توفيت سنة عشرين أو إحدى وعشرين، وقد بلغت ثلاثاً وخمسين سنة، ودفنت بالبقيع، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكانت عائشة تقول: هي التي تساويني في المنزلة عنده صلى الله عليه وآله وسلم، وما رأيت امرأة قطُّ خيراً في الدين من زينب، وأتقى لله، وأصدق حديثاً، وأوصل للرحم، وأعظم صدقة.

والتاسعة من أزواجه اللاتي توفي عنهن عبّر عنها بقوله (**كذا جويرية**) بنت الحارث، وقعت يوم المريسيع في سهم ثابت بن قيس بن شماس. فكاتبها على تسع أَواقٍ من الذهب، فأداها صلى الله عليه وآله وسلم عنها وتزوجها. وكان اسمها برّة فسماها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جويرية، لما تقدّم. وكانت ذات جمال. وعندما تزوجها قال الناس في حق بني المصطلق أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأرسلوا ما بأيديهم من سبايا بني المصطلق. قالت عائشة رضي الله عنها: فلم نعلم امرأة كانت أكثر بركة على قومها منها. توفيت في المدينة في ربيعِ الأولِ سنة ست وخمسين، وقد بلغت سبعين سنة، وصلى عليها مروان بن الحكم.

تتمة: وهؤلاء التسع هن اللاتي توفي عنهن صلى الله عليه وآله وسلم. وأما من مات في حياته عليه الصلاة والسلام من أزواجه فثلاث:

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وقد تقدم الكلام عنها، وزينب بنت خزيمة، تزوجها سنة ثلاث وكانت تدعى في الجاهلية أم المساكين لإطعامها إياهم، ولم تلبث عنده إلاّ شهرين أو ثلاثاً ثم ماتت وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفنها في البقيع وقد بلغت نحو ثلاثين سنة.

ثم ريحانة بنت يزيد، من بني النضير لكن كانت تحت رجل من بني قريظة، فوقعت في سبي بني قريظة، فاصطفاها صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه وخيَّرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام، فأعتقها وتزوجها وأصدقها وأعرس بها في المحرم سنة ست. وطلَّقها صلى الله عليه وآله وسلم لشدة غَيرتها فأكثرت البكاء فراجعها. ولم تزل عنده حتى ماتت مَرْجَعَهُ من حجة الوداع ودفنها بالبقيع. وقيل كانت موطوءةً له بمِلك اليمين.

وهؤلاء المذكورات (للمؤمنين أمهات مَرْضِيَهْ) بتخفيف الياء للوزن. أي وكلهن مرضية لله ولرسوله بطاعتهن لله وطاعتهنَّ لرسوله.

فائدة: زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم اثنتا عشرة امرأة المار ذكرهن، وتوفي عن تسع منهن كما مَرّ. وأما غيرهن ممن وهبت نفسها وخطبها ولم يعقد عليها، أو عقد ولم يدخل بها لموت أو

طلاق، فنحو ثلاثين امرأة. ولم يتزوج صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ بوحي. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تزوجت شيئاً من نسائي ولا زوجت شيئاً من بناتي إلاّ بوحي جاءني به جبريل عن ربي عز وجل».

تنبيه: ويجب على المكلّف أن يعتقد أن زوجاتِهِ صلى الله عليه وآله وسلم طاهراتٌ عفيفات. ويجب أن يعتقد براءةَ أمِّ المؤمنين السيدةِ عائشةَ رضي الله عنها زوجِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مما رماها به المنافقون، وقذفوها به. كما جاء به القرآن، ووردت به الأحاديث الصحيحة، وانعقد على ذلك الإجماع. وقد كانت رضي الله عنها معه في غزوة بني المصطلق عند رجوعهم إلى المدينة، وقد تخلفت في طلب عِقْدِها فحُمِل هودجُها ظناً أنها فيه، وسار القوم، ورجعت فلم تجدهم. فمر بها صفوان بنٍ المعطّل رضي الله عنه فحملها، ولم ينظر إليها، وقاد بها البعير موليًها ظَهْرَه حتى أدرك بها النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فرَمَوها المنافقون به. فنزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ إلى قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ١١-٢٠].

* * *

فصل: في أعمامه وعماته عليه الصلاة والسلام

أما أعمامه صلى الله عليه وآله وسلم فاثنا عشر: حمزة والعباس وهما المسلمان، وأبو طالب واسمه عبد مناف، وأبو لهب واسمه عبد العزى، والحْرث، والزبير، وجَحْل ـ بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة ـ ويسمى المغيرة، وعبد الكعبة، وقُثَم بقاف مضمومة فمثلثة مفتوحة، وضرار، والغَيداق بفتح الغين المعجمة وهو لقبه واسمه مصعب وقيل نوفل، والمقوم بفتح الواو وكسرها.

فأما (حمزة) فهو (عمه) صلى الله عليه وآله وسلم وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة الأسلمية، وكان أسنَ منه صلى الله عليه وآله وسلم بيسير، وكان أسدَ الله وأسدَ رسوله، كما جاء في الخبر، شهد بدراً وأُحُداً وبها استشهد على يد وحشي.

ووجدوا فيه بضعاً وثمانين جرحاً ما بين ضربة سيف وطعنة رمح ورمية سهم. وورد (أنه سيد الشهداء)[1] وفي رواية (خير الشهداء يوم القيامة حمزة) أي الشهداء من هذه الأمة، فلا ينافي ما جاء: أن سيد الشهداء يوم القيامة يحيى بن زكريا عليهما السلام، قائدهم إلى الجنة، وذابح الموت يوم القيامة، يُضجِعه ويذبحه بشفرة في يده والناس ينظرون إليه. وإنما اختُص دون غيره من الأنبياء لاشتقاق اسمه من ضده وقد تقدم ذلك. وورد أيضاً «خير أعمامي حمزة».

---

(١) مجمع الزوائد، المستدرك للحاكم.

(وعباس) عمه كذلك عليه الصلاة والسلام، وكان أصغرَ أعمامه وأسنَّ منه عليه الصلاة والسلام بسنتين أو ثلاث، شهد بدراً مع المشركين مُكرهاً، وأُسِر مع مَن أُسر، وفَدىٰ يومئذٍ نفسه، وأسلم قبل فتح خيبر، وكان يكتم إسلامه إلى يوم فتح مكة، وقيل أسلم قبل يوم بدر وكان يكتم ذلك، وشهد يوم حنين وثبت. وكان صلى الله عليه وآله وسلم يجله ويمدحه. توفي سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وصلى عليه سيدنا عثمان رضي الله عنهما.

وبعد أن عَرفتَ أعمامه عليه الصلاة والسلام، فـ **(كذا)** تعرَّف على عماته وهن ست أولهن **(عمته صفية ذات احتذا)** أي اقتداء بالله ورسوله لأنها مسلمة بلا خلاف، وهي أم الزبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأم صفية رضي الله عنها هالة بنت أُهَيب أم حمزة رضي الله عنه، توفيت في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة عشرين، ولها ثلاث وسبعون سنة، ودفنت في البقيع.

والثانية والثالثة من عماته عليه الصلاة والسلام أروى وعاتكة، وفي إسلامهما خلاف.

والرابعة والخامسة والسادسة أم حكيم وبرّة وأُمَيمة، ولا خلاف في عدم إسلامهن. وهذه الخمس شقيقات عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبـلَ هجـرةِ النبـيِّ الإسـرا ... مِـن مكـةٍ ليـلاً لِقُـدسٍ يُـدْرىٰ

فصل: في الإسراء والمعراج

(و) مما يجب على المكلف اعتقادُه اعتقاداً جازماً أنه (قبل هجرة النبي) صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة كان (الإسرا) يقظةً بجسمه وروحه عليه الصلاة والسلام (من مكة) المكرمة (ليلاً) وكان إسرائه (لقدسٍ يُدرَىٰ) أي يُعلَم من الدين بالضرورة، بحيث لو أنكره منكِر لَكَفَر، لأنه قطعي، ورد به القرآن قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

* * *

(وبعد إسراء) حصل له صلى الله عليه وآله وسلم وقع **(عروج)** له صلى الله عليه وآله وسلم بروحه وجسده يقظة لا مناماً **(للسما)** أي إلى السماء لأن حروف الجر تنوب بعضها عن بعض، خلافاً لمن زعم أنه كان للروح فقط، وخلافاً لمن زعم أنه كان في المنام، على ما روي عن معاوية أنه سُئل عن المعراج فقال: كان رؤية صالحة. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما فقد جسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فراشه». وقد ذكر أهل العلم أن ما أخبرت به السيدة عائشة رضي الله عنها ما كان من أمره في المدينة. ولعله حصل له أي العروج في المدينة مرةً أخرى بروحه، وهو الذي أخبرت عنه. وأما ما حصل له في مكة فقد حصل له وهي صغيرة بعد، لم تعلمه حيث كان عمرها أربع سنوات. وأما ما قاله معاوية، فمعاوية من مَسْلَمة الفتح، ولعله تكلّم بما يغلب على ظنه. وأما من أثبته من السابقين للإسلام من الصحابة، فمقدّم على مَن أخبر بما في ظنه. وقد أجمع أهل القرن الثاني ومَن بعدَهم، أن المعراج حصل له صلى الله عليه وآله وسلم بروحه وجسده يقظةً إلى ما شاء الله تعالىٰ من العلا. فمن أنكره بعد ذلك فقد فسق. واختلفوا إلى مكان وصوله في المعراج على أقوال[1] : فمنهم من يقول إلى

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية للعلامة عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي الدمشقي ص٧٥.

الجنة، وقيل إلى العرش، وقيل إلى ما فوق العرش إلى أطراف العالم (حتى رأى النبي رباً كَلَّما) ورؤيا الله تعالىٰ من الجائز عقلاً، إلاّ أنها لم تثبت في الدنيا إلاّ لنبيِّنا[1] صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الذي جزم به الناظم. قال القرطبي: قال عبد الله بن الحارث: اجتمع ابن عباس وأبي كعب، فقال ابن عباس: أما نحن بنو هاشم فنقول أن محمداً رأى ربه مرتين. ثم قال ابن عباس أتعجبون أن الخلة تكون لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين. قال فكبَّر أبي بن كعب حتى جاوبته الجبال، ثم قال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام، فكلم موسى ورآه محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وحكى عبد الزراق: أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه. وحكاه أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة، وحكاه بعض المتكلمين عن ابن مسعود والأول عنه أشهر. وحكى ابن إسحٰق أن مروان سأل أبا هريرة: هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم. وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه رآه.. حتى انقطع نفسُه يعني نفس أحمد. انتهى[2] وقد سألها سيدنا موسى عليه السلام فأجيب بقوله: (لن تراني). أما رؤيته في الآخرة فهي حاصلة للمؤمنين. ودليل الجواز عقلاً على الرؤية لله تعالىٰ: أن الباري موجود، وكل موجود يصح أن يُرىٰ. فلباري عز وجل يصح أن

---

(١) انظر الباجوري على الجوهرة.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٧/ ١٥٦.

يُرىٰ. وقد أطبق أهل السنة والجماعة على جواز وقوعها في الآخرة للمؤمنين لأدلة الكتاب والسنة، والإجماع منعقد على ذلك عندهم.

أما أدلة الكتاب فلقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢] وقوله تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ١٠] فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى المولى تعالىٰ كما عليه جمهور المفسرين، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥].

وأما السنة فأحاديث وردت منها قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر في ليلة البدر...»(١)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه: «وارزقنا النظر إلى وجهك الكريم...».

وأما الإجماع فهو أن الصحابة أجمعوا على وقوع الرؤية في الآخرة. قال الإمام مالك: ولما حجب أعداءه فلم يروه، تجلّى لأوليائه حتى رأوه. ولو لم يَرَ المؤمنون ربهم يوم القيامة، لم يُعيَّر الكافرون بالحجاب. قال الله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. وقال الإمام الشافعي: لما حجب قوماً بالسخط، دلَّ على أن قوماً يرونه بالرضا.

* * *

(١) سنن الترمذي، المعجم الكبير.

وهذه الرؤيا جائزة (من غير كيفٍ وانحصار) ليست كرؤية بعضنا بعضاً، فهي ليست بكيفية من كيفيات الحوادث، من مقابلة وجهة وتحيُّز، ولا انحصار للمرئي عند الرائي بحيث يحيط به، لاستحالة الحدود والنهايات عليه تعالىٰ. وهذا معنى قوله تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي لا تحيط به.

والرؤية هذه تحصل لجميع المؤمنين من الجن والإنس، والذكور والإناث، حتى أهل الفترة ـ إن قلنا بنجاتهم ـ والملائكة، إلاّ الكفار والمنافقين لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ لأنهم ليسوا من أهل الإكرام والتشريف. والحاصل أن الرؤيةَ كما أسلفت جائزةٌ عقلاً لأن الله علّقها بأمر جائز ـ وهو استقرار الجبل ـ حين سأل موسى عليه السلام الرؤيا. فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]. والاستدلال بهذه الآية من وجهين:

(الأول) لو كانت الرؤيا ممتنعة في الدنيا ما سألها موسى عليه السلام، ولأنه نبيٌّ يعلم ما يجب لله وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه. ولا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيءٍ من أحكام الألوهية.

(الثاني) أن رؤية الباري عُلِّقت على أمرٍ ممكن وهو استقرار الجبل وما عُلِّق على الممكن فهو ممكن.

ولا حجة للمعتزلة القائلين بنفي الرؤية اعتماداً على قوله: «لن تراني» وقالوا: أَنَّ لن تقتضي النفي على التأبيد. وأجيب عن ذلك بأنها لا تدل إلّا على مجرد النفي في الإستقبال، ولا تدل على دوام النفي، ولا إشعار لها بالتأبيد. ولو كانت الرؤية غير ممكنة لقال الله تعالىٰ لسيدنا موسى: لن أُرى.

(و) لمّا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه وكلّمه، فمِن ضمن ما خاطبه به أن (افترض عليه) أي أوجب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأُمَّتِهِ من بعده (خمساً) من الصلوات وهي الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر (بعد خمسين) كان قد (فرضها) عليه وعلى أمته من الصلوات. فلمّا وصل إلى سيدنا موسى قال له: راجع ربك فإن أمتك لا يطيقون ذلك. فما زال يراجع ربه بإرجاع موسى له إلى أن خففها إلى خمس صلوات، بأجر خمسين صلاة. كما ورد ذلك في الأحاديث[1].

* * *

(١) انظر صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن البيهقي والسنن الكبرى وسنن ابن ماجة وصحيح ابن حبان.

وبلَّغَ الأُمَّةَ بالإسراءِ وفرضِ خمسَةٍ بلا امتراءِ

(و) مما يجب على المكلف اعتقادهُ أيضاً أنه صلى الله عليه وآله وسلم (بلّغ الأمة بالإسراء) أي بخبر الإسراء من مكة ليلاً إلى المسجد الأقصى، وبالمعراج، ولم يذكره الناظم هنا لاكتفائه بذكر الإسراء، ولشهرة إطلاق أحد الإسمين على ما يعم مدلوليهما. ولذلك سيكتفي في البيت الثاني بذكر المعراج دون الإسراء. (و) بلّغهم بـ (فرض خمسة) من الصلوات عليهم. وكان ذلك التبليغ صباح ليلة الإسراء (بلا امتراء) أي من غير شك فيما يجب اعتقاده من تلك الأمور.

وأول صلاة ظَهَرتْ في الإسلام الظهر. لأنها أول صلاة علّمها جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم. وإنما لم تجب الصبح مع أن الصلاة فُرِضَت ليلة الإسراء لتوقُّف الوجوب على بيان الكيفية، ولم تُبَيَّنْ إلاّ عند الظهر.

* * *

فصل: في حال الناس عند إخبارهم بالإسراء والمعراج

وإذا علمتَ أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخبر الأمة بحادثة الإسراء والمعراج، وقد ورد أنه جمع الناس لإبلاغهم بما حصل له، وقد ورد من طرق كثيرة أن كفّار قريش تهكّموا به لمَّا أبلغهم به، فدلل لهم بعلامات، منها: وصول عيرٍ لهم قبل الغروب، فتأخرت وحُبِسَت الشمس حتى وصلت العير، كما قال. ودلائل أخرى ذُكِرَت في كتب السننِ والسِّيَرِ ووَصْفُه للمسجد الأقصى وأبوابه، وقد دخله ليلًا ولم يره قبل ذلك، عندما سألوه الكفّار أن يَصِفَه لهم تعجيزاً له، فرُفِع لَهُ المسجدُ الأقصى ووَصَفَهُ. وارتد بإخباره بالإسراء والمعراج مَن ضَعُفَت نفسُه عن الإسلام من المسلمين. و(**قد فاز**) أي ظفر ونجا (**صِدِّيقٌ**) وهو أبو بكر (**بتصديق له**) بما أخبر به من الإسراء والمعراج، ولقِّب بالصديق، لأنه لمّا دعاه للإسلام أَسْلَم ولم يتلَجْلَجْ، ولمّا أخبره بالإسراء والمعراج صدّقه بلا تردد. وبالتصديق بالإسراء (**وبالعروج الصدق وافى أهله**) أي وافق أهله بالإيمان الكامل، وحرسهم من الكفر والفسق، لأن من كذّب بالإسراء فقد كفر، ومَن كذّب بالمعراج فقد فسق. كما تقدّم.

تتمة: ومما يجب أن يُعتَقَد أن أفضل القرون المتقدمة والمتأخرة ما خلا النبيين والرسل، أصحابه صلى الله عليه وآله وسلم. وقد ورد في الأحاديث: «إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين

والمرسلين»[1]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبُّوا أصحابي فوَالَّذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدِهم ولا نصيفه»[2]. وقد ورد في فضلهم والحث على حبهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشيءُ الكثير.

ومن الآيات القرآنية قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقوله تعالىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]. وإلى غير ذلك من الآيات. وأما الأحاديث فقد تقدّمت، ومنها أيضاً قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غَرَضاً بعدي، فمن أحبَّهم فبحبي أحبهم، ومن أبغَضَهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشِك أن يأخذه»[3].

---

(١) تفسير القرطبي، سير أعلام النبلاء.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أحمد.

ومما يجب أن يُعتَقَد أن الصحابةَ متفاوتون في الفضل، قال أبو المنصور البغدادي مِن أكابر أئمة الشافعية: أَجمَعَ أهل السنة والجماعة على أن أفضل الصحابة أبو بكر فعمرُ فعثمانُ فعَلِيٌّ فبقيةُ العشرة المبشرين بالجنة، فأهلُ بدر، فباقي أهلِ أُحُد، فباقي أهلِ بيعةِ الرضوان، فباقي الصحابة رضي الله عنهم»[1].

* * *

(١) عون المريد شرح جوهرة التوحيد ج٢/ ص٨٩٥.

وهٰــــذهِ عقيــــدةٌ مختَصَـــرَه وللعَــــوَامِ سهلــــةٌ مُيَسَّـــرَه

(الخاتمة)

(وهذه) الألفاظ من أول المنظومة إلى آخرها (عقيدة) وهي ما يَدِيْنُ الإنسانُ به ويَعقِد عليه القلبَ. وقد حوت اعتقادَ أهل السنة والجماعة، في جملة ما يجب على المكلف اعتقاده، مع كونها (مختصرة) أي قليلة اللفظ ولكنها كثيرة المعنى، إذ المختصر ما قل لفظه وكثر معناه، وإن كان هذا المعنى اللُّغوي، إلا أنه هو المراد هنا (و) ما دمنا وصفناها بذلك فتكون (للعوام) أي المبتدئين في هذا الفن (سهلة) أي لينة العبارة يقرب تحصيل معانيها و(ميسرة) في حفظ مبانيها أي ألفاظها.

* * *

ناظِمُ تلك أحمدُ المرزوقي مَن ينتمي للصادقِ المصدوقِ

(**ناظم تلك**) أي العقيدة (**أحمد**) ابن رمضان بن منصور بن محمد بن شمس الدين بن محمد بن رئيس بن زين الدين بن ناصب الدين بن ناصر الدين بن محمد بن قاسم بن محمد بن رئيس إبراهيم بن محمد (**المرزوقي**) نسبة إلى جَدِّه مروزق الكفافي بن موسى بن عبد الله المحض بن الامام حسن المثنى ابن الحسن السبط ابن الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . فبهذا النسب فهو مِنْ (**مَنْ ينتمي للصادق المصدوق**) وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وذَكَرَ الناظمُ لاسمه الكريم هنا لأنه مطلوب، لذلك قال الشرقاوي[١]: واعلم أنه يُطلَب من كل بادىءٍ في كل فنٍ، أربعةُ أمور على سبيل الوجوب الصناعي: البسملة، والحمدلة، والتشهد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وثلاثة على سبيل الندب الصناعي: تسمية نفسه، وكتابه، والإتيان ببراعة الاستهلال.

* * *

---

(١) نور الظلام ص١٧٠ .

والحمـــدُ للهِ وصَلَّـــىٰ سَلَّمـــا على النبِيِّ خيرِ مَن قد عَلَّما
والآلِ والصحبِ وكُلِّ مرشِدِ وكُلِّ مَن بخيرِ هَدْيٍ يَقتَدِيْ

(والحمد لله وصلى سلما) وقد تقدم مباحث الحمد والصلاة (على النبي خير مَنْ قد علما) أي خير شخص قد علَّم الخير. فإن سيدنا محمداً خير مَن علَّم الخلق الهداية. ولما كان تمام التأليف من النِّعَم حَمِدَ الناظمُ اللهَ عليه كما حَمِدَه في ابتدائه، ثم ثَنَّىٰ بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم رجاءَ قبولِ ما بينهما، لأن الصلاة مقبولة لا مردودة والله تعالىٰ أكرم من أن يقبل صلاتين ويرد ما بينهما (و) لذلك أتى الناظم بالصلاة الكاملة فأدخل فيها (الآل والصحب) وقد مر تعريف ذلك (وكل مرشد) أي كل مصلح وهاد إلى الخير (وكل من بخير هدي) أي طريقة وهي اتباعه صلى الله عليه وآله وسلم ظاهراً وباطناً (يقتدي) أي يتبع.

❋ ❋ ❋

وأَسْأَلُ الكريمَ إخلاصَ العملْ ... ونَفْعَ كُلِّ مَن بِها قَدِ اشتغَلْ
أبياتُها مَيْزٌ بِعَدِّ الجُمَّلِ ... تاريخُها لِيْ حَيٌّ غُرٌّ جُمَّلِ

(و) ختاماً لما أقول (أسأل الكريم) أي المعطي للنوال قبل السؤال (إخلاص العمل) والإخلاص: هو تمحيض الطاعة لله تعالىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. ومما يعين على الإخلاص استحضار أن ما سوى الله تعالىٰ لا شيء بيده، وأن كل شيء هو بيد الله عز وجل. والصادق في إخلاصه لا يحب اطِّلاع الناس على حُسْن عمله، ولا يكره أن يطَّلع الناس على سيئِهِ. ولا يبالي بخروج قَدْرِهِ من قلوب الخلق. وفي الحديث: «مَنْ فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، فارقها واللهُ عنه راضٍ»[١]. وفي الحديث: «إن الله لا يقبل من العمل إلاّ ما كان خالصاً، وما ابتُغي به وجه الله»[٢].

(و) أسأل الله أيضاً(نفع كل من بها) أي المنظومة (قد اشتغل) بها مِن حفظٍ لِلَفْظِها أو تحصيلٍ لِمعناها مع العلم أن عدد (أبياتها) أي هذه المنظومة (مَيْزٌ) أي سبعة وخمسون بيتاً، بعدد حروف ميز، فالميم بأربعين والياء بعشرة والزاي بسبعة (بعدِّ الجمل) الكبير و(تاريخها) أي تاريخ انتهاءِ نظمِها، في سنة ثمان وخمسين وألف ومائتين، بعدد حروف (لي حي غر) بحروف (جمل) الكبير فإن اللام بثلاثين والياء بعشرة والحاء بثمانية ثم الياء أيضاً بعشرة والغين بألف والراء بمائتين تمام العدد المذكور.

---

(١) سنن ابن ماجهْ بلفظ (مات والله عنه راض).
(٢) رواه النسائي.

سمَّيتُهــــا عقيـــدةَ العَــــوام   مِن واجبٍ في الدِّين بالتمام

وقد (**سميتها**) أي المنظومة من أولها إلى آخرها (**عقيدة العوام**) وقد مر معنى عقيدة وكذلك المراد بالعوام (**من واجب في الدين بالتمام**) أي التي هي واجبة في الدين بالتمام، وذلك لأنها اشتملت على جملة العقائد الواجبة على المكلفين. وبهذا تم ما أردت إيضاحه من ألفاظ هذه المنظومة. واللهَ أسألُ أن يستر الزلة، ويجبر الهفوة، وأن ينفع بها المبتدئين مثلي في هذا الفن، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم. فهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين وآله الطاهرين وصحبه الغُرِّ الميامين.

وكان الفراغ منها ببزوغ فجر يوم الأحد الموافق السابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام تسع عشرة وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام.

❊ ❊ ❊

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قيَّض لخدمة العلم رجالاً في كل عصر وزمان، يقيمون علىٰ أهل عصورهم حجة الإبلاغ والتبيان، بما يهبهم الله من الحكمة والبيان.. والصلاة والسلام علىٰ سيدِنا محمد سيِّدِ ولد عدنان، وعلىٰ آله وأصحابه حماة الإسلام والإيمان والإحسان، وعلىٰ من تبعهم بإحسان.

وبعد: فقد أحسن الظن فِيَّ الفقير الأخ المبارك محمد علي باعطية الدوعني، حفظه الله وبارك في جهوده وأعماله، وعرض عليَّ مؤلَّفَه المفيد الذي ضمّنه شرح عقيدة العوام.. وطلب مني أن أجول بنظري في الشرح لأُبدي ملاحظاتي وتصحيحاتي، وبقدر ما فرحت بثقته في الفقير، فقد كلّفني أمراً أراه مع ذاتي كبير، فلست من فرسان الملاحظات والتصحيحات، ولا من أولي المعرفة في فقه الاعتقادات، ولكني استفدت من شرحه الفياض، ورأيت فيه من الفوائد التي يحتاج لها طلاب العلم أمثالنا، وخاصة أنه بارك الله فيه بذل من الجُهد والعناءِ في تحقيق المسائل ومتابعة الشواهد، ما جعل من الشرح شرحاً متفرِّداً عن غيره من الشروح المعروفة، إضافة إلىٰ سلاسة اللفظ وسهولة العبارة، مما يتيح لطالب العلم الوقوف علىٰ أدق المعاني التي يحتاج إليها دون عناء..

ومما هو جدير بالإشارة أن عقيدة العوام ـ منظومة مباركة تدرّج الأجيال منذ عصر مؤلفها إلىٰ اليوم علىٰ تداولها وحفظها، وهي اليوم في حلقات العلم قاعدة أساسية في بناء المعرفة الاعتقادية للمبتدئين.

وأعتقد أن هذا الشرح الشامل والتعليقات المفيدة، ستساعد المدرس والطالب علىٰ الكثير من المعلومات المهمة في القضية الاعتقادية، التي هي أهم مسألة تحتاج اليوم إلىٰ الاهتمام في المراحل التعليمية، كما أن المؤلف تطرَّق إلىٰ مسائلَ أخرىٰ يجهلها الكثير من طلاب الجامعات وشباب الدعوة، أكدها بتقوّلات صحيحة عن مواقف علماء الأشاعرة والماتريدية في بعض القضايا الاعتقادية التي يجري اليوم التناول لها علىٰ غير قواعد علمية.

إن القضية الاعتقادية هي أخطر قضايانا اليوم علىٰ الساحة التعليمية. وقد وقع الكثيرون من أدعياء العلم في مسائلها بتهوّر واندفاع، مما نزع بالمبتدئين إلىٰ التجرُّؤِ علىٰ علوم العقائد ومسائلها الكلامية بما لم يثبت له مثيل.

وإني متفائل جداً من خلال النظرة العابرة علىٰ هذا العمل المبارك، بأن آثاره الإيجابية ستكون كبيرة، وخاصة في مدارس وأربطة ودور العلم التي يَهُم رجالَها وجودُ مثل هذه المؤلفات ذات التحقيق الشامل. . وأسألُ اللهَ أن يجزيَ أَخانا المؤلفَ خيرَ الجزاء، علىٰ جهوده المبذولة في خدمة العلم. . وأن يُقِرَّ عينَه بامتداد نفعها في المسلمين. اللهم آمين.

كتبتَ ما يُثلِجُ الملتاعَ منثورا ... وما يُفيد شبابَ العلم مسطورا
عِلْمُ العقيدة تأصيلٌ ومنهجةٌ ... إذا استقام استقام الدينُ معمورا
وإن بدا ناشىءُ الأجيال متَّجِهاً ... للحفظ فيه غَدَا بالعلم مسرورا
منظومةُ الفتح للمرزوقيِّ ساطعةٌ ... عَبْرَ المراحل تزهو في الورىٰ نورا
شرحتَها بجميل الشرح معتنياً ... بِفَكِّ مُشكِلِها فعاد ميسورا
كما جمعتَ من الأقوال أقوَمَها ... دليلَ قَطْعٍ يردُّ الضدَّ محسورا
وبارك الله فيما أنت تصنعه ... فشَرْعُ ربي بما تأتيه منصورا
حققتَ عِلْمَ الأُلىٰ في كلِّ شاردةٍ ... جمعتَها من عيون الكُتْب مأجورا
أدامك الله في نشر العلوم فتىً ... تُعيد للعلم ما قد كان مطمورا
تَشيُد صرحَ الهدىٰ نَصّاً ومُتَّجَهاً ... وترتقي سُلَّماً بالخير موفورا
«يا باعطيةَ» فلتهنأ بما صَنَعَتْ ... يداك من شرفٍ أبقاك مذكورا
في عالَم العهدِ إنّ العهدَ منزلةٌ ... عظمىٰ تبوَّأَها من كان منظورا
فاصبر وصابر فإن الصبر منقبةٌ ... ما حازها غيرُ مَن قد شادها سُورا
إن الزمانَ به ما أنت تشهدُه ... مِن ضِعَةِ الحق إن الحق مقهورا
الصدقُ ضاع وضاع الفقهُ في زمنٍ ... تَبَدَّد الجيل في الإسفاف مخمورا
جيلُ التمزق والإرجاف مشتغلاً ... بالتُّرَّهات ودينُ الله مهجورا
يشق بالنفس ما قد حلَّ من خَلَلٍ ... في الكلّ حتىٰ بدا الإسلام مشطورا
كُلٌّ يدين برأيٍ وهو مقتنع ... سفاهةَ الغيرِ حتىٰ بات مغرورا
يَهُمُّه أن يَرىٰ نصراً لفكرته ... ويُشعِلُ الحرب بالأقوال مسعورا
هانوا علىٰ الكفر فانصاعوا لخِدعته ... واستتبَعُوه فصاروا مثلَه بُورا

إن التـديُّـنَ أخـلاقٌ ومـرحمـةٌ ودعوةٌ تجعلُ المكسورَ مجبورا
وخـدمـةٌ لمـراد الله فـي أُمَـمٍ كان الكتاب لها رمزاً ودستورا

وكتبه راجي عفوِ ربه الغفور
أبو بكر بن علي بن أبي بكر المشهور
٧ جمادىٰ الثاني ١٤١٩هـ
بمدينة جدة المحروسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله علىٰ ما أنعم وأولىٰ، وصلاتُه وسلامه علىٰ سيد الآخرة والأولىٰ، صاحبِ المقام المحمود والقَدْر الأعلىٰ، وعلىٰ آله وصحبه الحائزين القَدَحَ المُعَلَّىٰ، وعلىٰ تابعيهم بإحسان فكانوا النَّمَطَ الأَولىٰ.

أما بعد: فقد أثلج صدري، وأراح أريحتي، ما أوضحه الفقيه النبيه الشيخ الفاضل محمد بن علي بن محمد باعطية الدوعني، أجزل الله له في الدارين العطية، من معاني عقيدة العوام للإمام السيد أحمد المرزوقي الحسني رضي الله عنه وأرضاه. فكانت سلسة في متناول المبتدئين العوام، الذين يَعسُر تفهُّم غوامضِ العلوم لديهم وإن كانت بسيطة واضحة لدىٰ الخواص.

قام هذا الأستاذ المثابر ذو الهمة العلية، فأطلق عِنان يراعِه في تيسير العقيدة الصحيحة، بأسلوب جذاب وعبارة شيّقة. فجاءت بتوفيق الله تعالىٰ وافيةً بالمقصود، وذلك فضل يُشكر عليه صاحبه. فجزىٰ الله هذا الشيخ عنّا الجزاء الأوفىٰ، وقد تصفحت كتابه بإمعان، فرأيته من أحسن الشروح، لا إفراط ولا تفريط، ولا لبس ولا تخليط. فبارك الله له وكثّر من أمثاله.

وهكذا يكتب العالمون المخلِصون الذين لا همّ لهم إلاّ الإرشاد، يُنَشِّئون النشءَ علىٰ أحسن تربية، وقد جاءتني أَبْيَّات غير أَبِيَّات مع تراكم الهموم، وعلىٰ أهبة العودة من سفر الحج والزيارة. فكتبتها على ما هي عليها، تقديراً لهذه الحركة المثمرة من هذا المرشد البارع باعطية. فقلت:

كشف اللثامَ عن العقيدة باعطيهْ ... أسدىٰ مع التوفيق للجيل الهديّهْ
كُتِبَـتْ مُيَسَّـرةً لهـم بسـلاسـةٍ ... فجَلتْ معارفَ جمّةً كانت خفيّهْ
وأتىٰ المؤلف بالفوائد شارحاً ... ما رام من باب المسائل بالحريّهْ
فجزاه رب العرش أفضل ما جزىٰ ... أحبـاءَهُ وحبـاه مـولاه العطيّـهْ
إن العقيـدةَ أُسُّ إيمـانِ الـورىٰ ... فـأتـت بهمـة ذا مـؤيـدةً نقيّـهْ
أوضحتَ ما احتاجت إلىٰ إيضاحها ... هي للعوامّ كَفَتْ لإخلاصٍ ونِيّهْ
لا هُـمَّ إيمـانـاً كـإيمـان العجـا ... ئز دون تقليد إذا صَلَحَتْ طويّهْ
تـوحيـد أهـل الحـق إدْراكـاً بـلا ... التجسيم والتعطيل في الأسس الجليّهْ
يـا بـاعطيـة هـاك تقـريظاً مِـن ابْـ ... نِ البيضِ عفواً دون إعمالِ الرويّهْ

بقلم

محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعيد البيض

كتبته وأنا بمكة المكرمة على أهبة العودة إلى الوطن

يوم الثلاثاء ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحيِّ القيوم الدائم، وصلّىٰ الله وسلّم علىٰ صفوته من خلقه المنتقىٰ من بني هاشم، سيدِنا محمد جامعِ أوصافِ العبودية والمكارم، وعلىٰ آله المطهَّرين قُرَناءِ القرآن، وصحبه الأكرمين أهلِ صدق الإيمان، وتابعيهم بإحسان أربابِ الهدىٰ والإيقان.

أما بعد: فقد تصفّحتُ شرحَ عقيدة العوام المسمّىٰ «موجز الكلام» للشيخ العالم الفاضل الموفَّق الحريص علىٰ مسلك الهداة الأخيار، مرتبطٍ بالسلالة الأطهار، وأئمة الهدىٰ الأكابر مصابيح الدياجر، الشيخ محمد بن علي بن محمد باعطية الدوعني، أكرمه الله بالمزيَّة، وأثبته في أهل الخصوصيّة، وأطال عمره في العوافي الظاهرة والخفية، والنفع الكثير المضاعَف للأمة المحمدية. آمين.

وقد جمع في ذلك الشرح أشتاتاً من الفوائد، فكانت لطالب العلم من خير الموائد، ناقلاً عن أئمةٍ أماجد، باذلاً الجهدَ في ضبط الشوارد، راجياً نفعَ القائم والقاعد، فبارك الله في جمعه وعمَّ بنفعه، وشكر له بَذْلَه ما في وسعه، وأكرم كلَّ من أعان علىٰ نشره وطبعه، وضاعف الهباتِ، وأجزل العطياتِ، ووفَّر الحظَّ من الانتفاعاتِ، بما حواه هذا الكتاب لأهل القراءة والمطالعات.

ومنظومة عقيدة العوام مما انتشر بين الأمة، واعتنىٰ به الأئمة، وقد حَوَت خلاصةً وافية من عقيدة الحق الصافية، وكان يحفظها الأكثرون من عوام المهتمين بالدين، فصار يجهل بعض المسائل المذكورة فيها كثير من المتخرجين من الثانويات بل والجامعات، عندما أصبح هَمُّ الدراسة وَقْفاً علىٰ المقاصد الدنيويات، ولما أحسَّ كثيرٌ من المؤمنين بإهمالِ وإضاعةِ حقِّ وهَمِّ الدين، بما شاهدوه من واقع حياتهم وحياة أبنائهم وبناتهم، وواقع ما يدور حولهم، بدأت مشاعرهم تُدرِك وتَحْمِلهم علىٰ التدارك، وكان من مظاهر ذلك عَوْد الاهتمام بحفظ مثل هذه المنظومة، وابتدأت تنتشر حفظاً وتقريراً بين كثير من الأولاد والأُسَر، وذلك مما دعا الشيخ إلىٰ القيام بهذا الشرح، فجزىٰ الله صاحب المنظومة وشارحها خير الجزاء، وبارك في انتباهةِ المسلمين والتفاتهم إلىٰ واجباتهم نحو دين الحق ورسوله الأمين، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، فلله الحمد ربّ السمٰوات وربِّ الأرض ربِّ العالمين، وله الكبرياء في السمٰوات والأرض وهو العزيز الحكيم، وسلام علىٰ المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

الخميس ٢ رجب ١٤١٩هـ

دار المصطفىٰ بتريم

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة